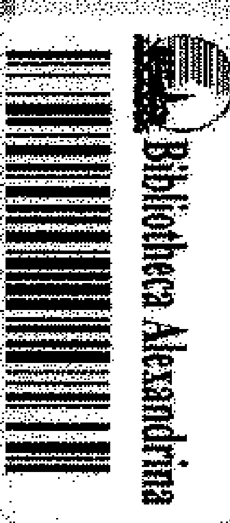






«صياغة نهائية»





المسرح والمرايا



أدونيس

المسرح والمرايا

(١٩٦٥ ـ ١٩٦٧)

ـ صياغة نهائية ـ

منشورات دار الآداب ـ بيروت

طبعة جديدة

١٩٨٨

جنازة امرأة

(مكان على ضفة نهر. قبر مغطى بسقف من القصب. حول القبر ثياب قطنية متعددة الألوان. جمهور نساء ورجال يجلسون بوقار حزين).

الرجل الأسود (يقف وسط الجمهور إلى جانب القبر، مشيراً إلى الميت):

مات وما حَولَهُ
ضَفيرةٌ عالِقَةْ
بالأرض، محلولةٌ
والأرضُ رمّانَهْ

(صمت، إلى النساء)

مات، مَن العاشِقةْ
تَغيبُ في حلْمِهِ
تَلبسُ أجفانَهْ؟

الجوقة (غير منظورة):

ألَموتُ وجهُ شاعرٍ، أو كَلِمَهْ

مِنْذورةٌ للأرضْ
ألموتُ حضنُ عاشقٍ،
وتَمتمهْ
أنّيَ في عروقِه
قصيدةٌ أو نبضْ.

(صمت. يتأمل الرجل الأسود الوجوه كأنه يدرسها. تنهض امرأة سمراء. تنهض معها امرأتان ـ سوداء وصفراء).

المرأة السمراء   أنتظرُ
والّليْلُ تحْتَ جسَدي يَنْكَسِرُ،
والنَّخلُ في جدائلي،
والمَطرُ
عينان تقْرآنِ لي
أوائلَ الفُصولِ. . .
(صمت. تحدق في الوجوه)
كان وَرَقُ النَّخيلْ
يَمتدُّ كالغطاءْ
كان قميصاً أحمرَ السّماءْ
وقلْتُ: هذا زمنٌ يميلْ
نَحوي. . . وقلْتُ. . .

الرجل الأسود (بسرعة ومهابة):

اشتَعلتْ يَداهُ

تَلَقّتي،

رأيْتُ جمرتينْ

أَصغي،

فكلُّ عشبَةٍ صَدَاهُ

سمعْتِ؟

هاتي يدكِ. اتبَعيني

لم يَبْقَ غيرُ المَوتِ، غير حلْمٍ،

وَغَيرُ خطوتَينْ.

(يتقدم نحوها، يمسكها بيدها ويتجه نحو قبة، برفقة المرأتين السوداء والصفراء. تدخل الثلاث تحت قبة سقيفة خاصة ويجلسن. يتركهن الرّجل الأسود ويعود إلى مكانه. تأتي المرأة السوداء بإناء مليء بالماء. تغسل هي والمرأة الصفراء قدمي المرأة السّمراء، بشكلٍ طقوسّي مهيب).

المرأة السمراء (بما يشبه الحلم):

كوكَبٌ يرتمي عليّ،

أنا الزّهْرَةُ مَختومَةً،

أنا النَّارُ، والموتُ عَشيقٌ

كشهْوتي مَسْنُونْ
وتَفَتَّحْتُ، يطلعُ المَوتُ في نهديّ -
وجهي سحابَةٌ
ومراياي بُروقٌ وَرْدِيّةٌ وغُصونْ.

الجمهور (بايقاع):

تَفَتّحي في كَلِمَةْ
بادئةٍ كالفَتْحْ
مَسْنونَةٍ كالرُمْحْ.
تَمَوّجي
تَهدّجي كالصوْتْ
غامرةً كالله أو جاعةً كالموتْ . . .

(تنهض المرأة السمراء. ترافقها المرأتان السوداء والصفراء نحو قبة. تدخل القبة. ينغلق بابها. تنتظرها المرأتان على طرفي القبة. موسيقى موت وحب تستمر طول بقاء المرأة السوداء داخل القبة).

صوت المرأة السمراء (داخل القبة):

في كَلِمةْ
أشْعل تحت سقفها حريقي
أبدأ تحت سقفها طريقي
مَسْنونةٍ كالرّمْحْ
سَمّيْتُها الفجيعه،

أسكُنُ
حتّى تنْزفَ الطّبيعَهْ
في جسَدي كالجُرحْ،
كالموتِ نسْلِ الزّمنِ الصّديقِ

الجمهور (مردداً):
كالموْتِ نَسْلِ الزّمنِ الصّديقِ
كالموتِ نَسْلِ الزّمنِ الصّديق.

صوت آخر (داخل القبة):
ألجُرحُ شَهيّةْ
حُبّكِ مَفتوحٌ كالجرحْ

الجمهور (مردّداً بإيقاع ترتيلي):
ألحبُّ صبيّةْ
ألحبُّ جناحْ
جاءَ اليوم إلينا
دَخلَ المسرَحَ غنّى باحْ
كانَ المشهدُ غُصناً يُورِقُ. . .
غنّى رَاحْ
في عَرَباتِ النّارْ
وَغداً يأتينا

والشّمسُ دَمٌ واللّيلُ جرارْ
وغداً يأتينا
كالوجهِ، فضاءً مفتوحاً
كالموت، سِتارْ.

(تتوقف الموسيقى)

الصوت الآخر (داخل القبة):

جرحكِ ترتيلةٌ
للمدن المحروقةِ الخاليةْ
ذبيحةٌ عاليةْ . . .

(تخرج المرأة السّمراء بهيئة شفافة يمتزج فيها الحزن بالفرح ترافقها المرأتان السّوداء والصفراء. وفي هذه اللّحظة يبدو زورق خشبي على ضفة النهر، موضوع فوق صقالات خشبية تحت قبة. في الزورق سرير تغطيه عجوز بغطاء كثير الألوان. العجوز امرأة مهيبة، ضخمة عابسة، تقف عند رأس السرير.

يبدو في مكانٍ آخر أشخاص يحفرون في الأرض، ثم يُخرجون جسماً ملفوفاً بقماش أسود، وجرّة ومزماراً قصبياً.

يحمل الجسم إلى الزورق تحت القبة، بعد أن يرفع عنه الغطاء الأسود، فيظهر لابساً سروالاً أسود وخفاً أحمر وقلنسوة مقصّبة. يوضع فوق السرير ويُسنَدُ بالوسائد).

هاتوا كُتُباً . . . أقلاماً

(يجيء الحضور بكتب وأقلام تلقى في الزورق)

العجـــوز   هاتوا وَرَقاً . . .

(يحضره شخص ويرميه قرب الميت في الزورق).

العجـــوز: عُشْباً ويمامَهْ . . .

(يجيء بعض الحضور بيمامة يذبحها فوق الميت ويلقيها بين يديه، ثم يرمي آخر غصن خشخاش).

العجـــوز: وَلْيَبْقَ الحبّ علاَمهْ.

(ترسم على جبين المرأة السمراء علامة الحب. يحمل المرأة السمراء أربعة رجال يرفعونها على راحاتهم وينزلونها ثلاث مرات. ثم يرفعونها إلى أعلى ما يمكنهم. تبدو كأنها ترى رؤيا).

المرأة السمـــراء (كأنها ترى رؤيا ـ ترتل):

أقفاصٌ تعلو

تعبُر في غاباتِ الصَّوتْ

في الأفكار وفي الأشياء

ألصّخرةُ ماءْ

والأعضاءُ شتاءٌ باردْ

والحبُّ نوارسُ ليليّهْ

تَتَناسَلُ في أعشاشِ الموتْ

ولِباسٌ واحِدْ.

(ينزلونها. تخلع سوارين من معصمها الأيسر)

المرأة السمراء (تعطي السوارين إلى العجوز):
عطيّةٌ من الجسَدْ
تَلْتَفُّ كالسّوار حولَ الرّوحْ.

العجوز (تنحني وهي تتناولهما):
. . . .
(تنزع المرأة السّمراء خلخالين)

المرأة السمراء (تعطي خلخالاً للمرأة السوداء):
رسالةً
تصير في عينيكِ أحلاماً
ترميكِ في متاهٍ
كالقلب
لن تضيعي فيه، ولن تعودي.

المرأة السوداء (تنحني وهي تتناوله):
. . . .

المرأة السمراء (تقدم الخلخال الثاني للمرأة الصفراء):
وَطَنٌ كالخَتْمْ
يسكنُ حولَ الفَخْذِ،
سجينَ الحلْمْ
سَجَّانَ اليقظَهْ.

المرأة الصفراء (تنحني وهي تتناوله):

(يحمل الرجال الأربعة المرأة السمراء ويضعونها في الزّورق، بعد أن يقبّلها كل منهم. تناولها العجوز كأساً من النبيذ تشربها. تناولها كأساً ثانية تشربها. تأمرها بالدخول تحت القبة في الزّورق حيث يتمدد العاشق الميت. يبتعد الجميع. تأخذ العجوز خشبة تشعلها وترميها في الزورق. يرمي الآخرون فوقها الحطب والزهر والخبز. الزورق يشتعل وهو يبتعد جارياً على صفحة النهر. الجميع ينشدون).

الجوقة (جميع الحضور):

دَخَلتْ في مقام الحريقْ

اَللّيالي شموعٌ

ومزاميرُها طريقْ.

صارَ وجهُ الأثيرْ

وَطَنَ العاشِقَينْ

سَيَّجَتْهُ العيونْ

بالصدى، بالسكونْ

بضِفافِ اليدينْ

ورمت كوكبينْ

بين رأسيها والسّريرْ.

(فيما يختفي الزورق، تنقسم الجوقة إلى قسمين رجال ونساء، ثم يترك كل قسم المسرح من جهة معينة، ويردّدون جميعاً بصوت هادىء إيقاعي).

أَلموت جَناحْ

دخل المسرحَ - غنّى راحْ

مبحوحَ النّبرةِ، مجروحا

وسيأتينا

في عَرباتِ

الثّارْ

كالحبِّ،

سِوارْ

كالشّمس،

فضاءً مفتوحا . . .

الجوقة (غير منظورة، وبعد أن ينطفىء ضوء المسرح):

تبدأ من جنازة امرأهْ

تصعدُ كالقربان في مجامر العيونْ

مدينةٌ أحَنُّ من مِدفأهْ

تبدأ من جنازة امرأهْ

أيّامُ قاسيونْ -

أبدأ من جنازة امرأهْ -

صرْختيَ الأولى حنينُ كونِ

تطاولتْ،

وَانْحفرت كالنَّهرْ

رأيتها تجري ، -
رَأيت صوتي
ينزلُ من ينبوعِه
نحيلاً ،
مهاجراً ،
يقرعُ بابَ الدَّهرْ . . .

* *

كلمات

كَلِمَاتٌ لها أرْجُلٌ وبيوتْ
كَلماتٌ تموتُ
وَهْيَ حُبلى،
. . . سكنًا
وطناً راودتْهُ، شَردْنا
في تقاطيعهِ
ارتسمْنا
حولَ آفاقه غُصونَا
وارْتسمنَا رؤىً وعيونَا. . .

كلماتٌ رمت قشرها، رافقتني
في طقوس المدينَهْ
ودخلنا مقاماتِها احترقْنا
حُلُماً ـ
ها هنا دفنّا

جُثَّةَ العالم اقتسمنا

إرثَه واستحذْنا

لهبَ الفطرة الدَّفينَهْ.

كلماتٌ تسافر في صَرْخة الطفولَهْ

كم حملنا خُطانا مزجنا البطولَهْ

بالجنونِ، احتمينا

ببراكينهِ...

كَلِماتٌ

حضَنتْ صمتَها وماتتْ

... وحرقنا مناديلنا وقرأنا

سورةً،

وذَبحْنا

حلُماً كالخروفِ

بين إيقاعها والحُروفِ.

... وامتزْجنا بها ورقدْنا

فوقَها

ونَهضْنا

وبَدأنا، وعدنا

والمدى جامعٌ،

كلماتٌ،
كلماتٌ هي الثّورةُ ـ
. . . اجترحْنا
كلَّ ما يهدمُ المدينةَ أو يخلقُ المَدينَةْ
كلماتُ الحنين وأقواسه الشريده
كلماتٌ تهاجر بين الغصونْ
كلماتٌ تموتُ مع الحلم في آخر العيونْ
كلماتُ الحدود البعيده
كلماتُ الأفولْ
والصّعودِ ومعراجه،
الحلولْ
في الجذور وغاباتها،
كلماتْ.

شهدت جثّة الحسينْ
وهْي تبكي وتجري مع الرّافدينْ
متُّ في حضنها وعشْتُ
وطَمرْتُ شَرايينها ونَبشْتُ
كلماتُ المَجيءْ ـ
سَفَرٌ مُعتمٌ خُطواتٌ تُضيءْ

فِي الزَّمان المهرول في وَجههِ البَطِيءْ
كلماتٌ سفينهْ
في البحارِ الدفينهْ
بينَ نار الغموض ومزمارِه، الدَّفينهْ
تحت رقص الجذور
الدَّفينَهْ
حيثُ تمضي وتمضي وتمضي
مَطَراً هَاذِياً
وتمضي
لهَباً هَاذياً
وتمضي . . .

لون الماء

لونكَ لونُ الماء
يا جَسَدَ الكَلامْ
حين يكون الماءْ
خميرةً أو صاعقاً أو نارْ ـ

وَاشْتَعَلَ الماءُ وصارَ صاعقاً وصارْ
خميرةً ونارْ،
نَيلُوفراً
يسْألُ عن وسادتي
ينامْ . . .
يا نَهَرَ الكَلامْ
سافرْ معي يومين، جمعتين في خميرة الأسرارْ
نلتقطُ البحارَ، أو نستكشف المحارْ
نُمطرُ ياقوتاً وآبنوساً

نعرفُ أنَّ السّحرْ
جنّيةٌ سوداءْ
ترفضُ أن تعشقَ غير البَحرْ.
سافرْ معي واظهرْ هنا . . . وغِبْ هنا . . .
واسألْ معي يا نَهرَ الكَلامْ
عن صَدفٍ يموتُ كي يَصيرْ
سحابةً حمراءْ
تُمطِرُ،
عن جزيرهْ
تَسيرُ أو تطيرْ،
وَاسألْ معي يا نَهرَ الكلامْ
عنِ نجمةٍ أسيرهْ
بين شِباكِ الماءْ
تحمل تَحت ثديها
أيامِيَ الأخيرهْ.
واسألْ معي يا نهرَ الكلامْ
عن حجرٍ ينبُعُ منه الماءْ
عن موجةٍ يولد منها الصّخرْ
عن حيوان المِسْكِ، عن يَمامةٍ من نورْ

واهبطْ معي في شَبك الدّيجورْ
في القاع،
حيثُ الزّمنُ المكسورْ
وَلْيكنِ الكلامْ
قصيدةً تلبَس وجهَ البَحْر.

الزمان المكسور



امرأة ورجل

- من أنتَ؟
- بهلولٌ بلا مكانْ
من حجَر الفضاء من سُلالة الشيطانْ
- من أنتِ؟
هل سافرت في جسَدي؟
- مِراراً؟
- ما رأيتِ؟
- رأيتُ موتي
- ألبستِ وجهي؟
ورأيت شمسيَ مثلَ ظلٍّ
ورأيت ظلّيَ مثلَ شمسٍ
ونزلتِ تحت سريرتي، وكشفِتني؟
- أكشفتَني؟
- كَاشَفْتِني؟ أيقنْتِ؟

- لا
- أشُفِيتِ بي، وبقيتِ خائفةً؟
- بَلى
- أعرفتِني؟
- أعرفتَني؟

أغنية الرجل

جانبيّاً،
رأيتُ وجهكِ مرسوماً على جذْع نخلةٍ
ورأيتُ الشّمسَ سوداءَ في يديكِ،
فأسرجتُ حنيني إلى النّخيل، حملتُ اللّيلَ في سلّةٍ، حملتُ المدينهْ
وتناثرتُ حول عينيكِ، أستطْلِعُ وجهي -
رأيتُ وجهكِ جوعاناً كطفلٍ،
حوّطتُه بالتّعاويذِ
وفتّتُّ فوقه ياسمينَهْ.

أغنية للمرأة

جانباً
رأيتُ وجهكَ شيخاً
سرقته الأيامُ والأحزانُ
جاءني حاضناً قواريرَه الخضراء يستعجل العشاءَ الأخيرَا
كلّ قارورةٍ خليج وأعراسُ خليجٍ ومركَبٌ
تغرق الأيام فيه وتغرق الشطآنُ
حيثُ تَستَكشفُ النوارسُ ماضيها وَيَستَشعرُ الغدَ الرّبانُ
جاءَني جائعاً، مددتُ له حبّي
رغيفاً ودورقاً وسريرا
وفتحتُ الأبوابَ للريح والشّمس، وشاركته العشاء الأخيرَا.

المجوس

كان في وجهكِ المسافر، في وجهيَ

نَجّمٌ، وكان ليلٌ يجوسُ

وتَلاقَتْ يدانا

تَلاقَتْ خُطانا

وتَلاقَتْ رؤانا،

وهَبَطْنا، رأينا وغبنا

وظهرنا وغبنا

وأتى بعدنا المَجُوسُ.

وجه امرأة

سَكنتُ وجه امرأةْ
تَسكُن في موجةٍ
يقذفها المدُّ إلى شاطىء
ضيَّع في أصدافه مرفأه.
سكنتُ وجه امرأةْ
تُميتني، تُحبُّ أن تكونْ
في دميَ المُبحر حتى آخر الجنونْ
مَنارةً مطفأه.

الطريق

الطَّريقُ امرأه
وضعَتْ راحَةَ المسافر في راحةِ العشيقْ
مَلأتْ راحةَ العشيقْ
بالحنين وأصدافهِ،
امرأهْ
حُلُمٌ صيَّرَتْهُ امرأه
مركباً ضيّقاً كالجناحْ
لابساً وردةَ الرِّياحْ
ناسياً مَرفأهْ.

مرآة لحظة ما

صاعدٌ؟ كيف؟

لا جبالكِ من نارٍ

ولا في ثلوجها أدراجٌ

لك في وجهيَ الكتوم

رسالاتُ حنينٍ

وفي دمي أبراجٌ

كلما قلتُ: أصعدُ

انكسرَ الليلُ

وضاقَ الحنينُ والمعراجُ.

مرآة للكرسي

كُرْسيكَ الشائخُ كان طفلاً

أعطيتُه يَدي

عِقْدين دميتيْن - كم تَدلّى

وجاعَ، واسترسل حولَ صدري

كم طاف واستراح في عينيّ.

لو يُنسَخُ الكرسيُّ، لو يَصيرْ

مُسافِراً، أو نظرةً خجوله

لقلتُ في أهدابكَ الخجوله

ألمح كلَّ ليلٍ

طفولةَ الكرسيِّ، كلَّ ليلٍ

سهرتُه،

وألمحُ الطفولَه.

مرآة للوقت

أَدعوكَ، أيامي بلا حارسٍ
وهذه المسافة المقفرهْ
وليمةٌ للحلم، عيدٌ من الحنين من أشجارِه المثمره
أدعوكَ أن تحضره.
ساريةُ الأحزان مرفوعةٌ
يا ليتَ لو ترتاحُ، لو تنحني
كالغُصن في رياحِها المضمره
وها هو الإبريق مرثيَّةٌ
أو زهرةٌ،
والشَّايُ نافورةٌ
أدعوكَ أن تصغيَ، هذا الصَّدَى
يجيئنا بالعُشْبةِ المُسكره.
. . . وغرَّب الوقتُ، الحَنينُ ارتدى
ثيابَنا

صارَ البخورَ الذي
يلفُّ أهدابَنا
يخرجُ من قبّةٍ
قديمةٍ
تخرجُ من جوهره.

حزمة القصب

(وجوه وأقنعة. قاعة بمداخل كثيرة من طراز قديم).

-١-

وجه ١ : أسمع أنَّ النّاس غاضبونْ
تَتَّحِدُ الصّلاةُ في قلوبهم والنّارُ. . .

قناع ٢ (باستهزاء):
غاضبونَ؟
سرعانَ ما يَرضون، يَهدأونْ ـ
ألسّيفُ والذّهبْ
يُطفِّئان نارهمْ. . .

وجه ١ : تشبُّ من جديدِ

قناع ٢ (بحماسة):
يشبُّ من جديدِ
يلفّهم كحزمةِ القَصَبْ
ألسَّيفُ والذّهبْ،
ولَهبُ الجريمةْ

(يصمت. يتابع كمن يحلم)

فترتخي القلوبُ

والرّكبْ

تصيرُ مثلَ خِرْقةٍ. . .

ويُطْبَخُ الثّوار كالفراخِ في وليمَةْ. . .

(يضحك)

وجه ١ : تحتقرونَ الناسَ، تزْربونهم

للذّبحِ،

تأكلونهم. . .

قناع ٢ (مستغرباً):

حنجرةٌ جديدةٌ

شَحذتَها بشفرةِ الثُّوارِ؟

(بلهجة الناصح)

خَلِّ الشّعبَ يا صديقي،

فهو، كما اختبرتَ، مثلُ وحْشٍ

يظلُّ في غَضَبْ

إلاّ إذا أطعمته للسّيفِ

أو لقَّمته الذّهَبْ.

(يخرج)

(أقنعة منحنية حتى الأرض. في إحدى الزوايا تقف امرأة كالتّمثال، تحضن جمجمة).

قناع ١ : (يبدو كالبرميل لا رأس له، يخاطب وجه ١ مشيراً إلى الأقنعة المنحنية):

وجه ١ ألشّعبُ، تعويذتُكَ الدّائمةْ

رأيتَ؟ (يشير باحتقار إلى الأقنعة المنحنية)

لا،

صورتُكَ الغاشمةْ

عرضتَها.

ألشّعب ليس قشاً

تحنيه، أو قناعاً...

قناع ١ : (ثائراً):

خذوهُ:

خلّوا رأسَه هديّةْ

كأساً من العظام،

آدميّةْ.

(يخرج بعض الأقنعة وهم يجرّون وجه ١)

(تدخل أقنعة جديدة).

- ٢ -

قناع ٢ (إلى قناع ١، مقدماً له جمجمة بشكل كأس):
أولى هداياي إلى مولايَ،
والحضورُ يشهدونَ. . (مشيراً إلى الأقنعة)
أخبروهُ،
تَقَدَّموا. . .

قناع ٣ (يتقلد جمجمة. يتقدم، يقف وقفة عسكرية أمام قناع ١):
أصواتُهُم
تمتدُّ تحت خطْونا
كَدَرَجٍ. . .

قناع ٤ (يتقلد ساعداً. يتقدم بخطوات عسكرية إلى موازاة قناع ٣):
أكتافُهم
لَيِّنةٌ،
حمراءُ كالوسائدِ

قناع ٥ (يتقلد فخذاً وساقاً. الحركة ذاتها):
أجسادهم
مَنْفُوخَةٌ كجثّةِ الصحراء،
والصَّحراءُ كالموائدِ

قناع ١ (بصوت أجش ونبرة مجنونة):

ألرّمح، ها...

في القلب والضّمير

في سُرَّة الحُبْلى وعين الطّفلِ، في الشّهيقِ والزّفير

والشّجر القريب والكواكب البعيده

ألقتل، ها... بذاريَ الوحيدُ،

ها ها...

أرضيَ الوحيدَهْ.

(الجميع يضحكون بجنون)

أربع أغنيات لحزمة القصب



١ ـ الجائع

يَرسمُ الجُوعَ على دفترِهِ
أنجماً أو طُرُقا
ويَغُطِّي الوَرقا
بمناديلَ من الحلْم ـ
لمَحْنا
شمسَ حبٍّ حركَتْ أهْدابها
ورأينا شَفَقا.

٢ ـ النوم والنهوض من النوم

يصنع في نومِه
نموذجاً لثورةٍ جامحةْ
تعانق المستقبل الطالعا،
يَنهضُ من نَومه ـ
تصير أيّامُهُ
ببغاءَ. . .
تبكي اللّيلةَ البارحهْ
وحلمه الضّائعا.

٣ ـ الشعب

تجمَّع الشَجَرْ
أثقله الصّراخُ والحَنينُ كالثَّمر
وهبَّ في مسيرهْ
حول ضفاف النَّهر. كانَ رعدٌ
يَرجُّه كأنه الشَّرَرْ ـ
وصعُق الشَجَرْ
حزْناً على طيوره الأسيرهْ
في الجانب الآخر من خاصرةِ النَهَرْ.

٤ ـ الغضب

غضب الفراتُ ـ
في ضِفَّتيه حناجرُ
أبراجُ زلزلةٍ، ورعدٌ،
والموجُ أحصنةٌ . . .
رأيتُ الفجرَ مقصوصَ الذؤابهْ
والماءَ مسنونَ الهدير يسيلُ محتضناً حِرابَهْ .
غضب الفراتُ لا النّارُ تطفىء ذلك الغضبَ الجريحَ ولا الصَّلاةُ .

تيمور ومهيار

(ردهة في القصر، تيمور وحوله حراس مسلحون)

- ١ -

تيمور (بغضب):

هاتوهُ هاتُوا حمم البركان، هاتوا نَهمَ الضِّباعِ
لُفّوهُ بالجرذان والأفاعي
هاتوهُ واسْحقوهُ. . .

(تنصب خشبة تغطيها أمشاط الحديد. يُمدد عليها مهيار. يربط، يجلد حتى يتقطع لحمه. يسمّر رأسه بمسامير حُميت في النار. يؤخذ إلى السجن. يبطح على وجهه. توضع أسطوانة من الحجر على ظهره. تقيد بالحديد يداه ورجلاه).

- ٢ -

(تيمور، مهيار، حراس مسلحون)

تيمور ألم تكن في السجن؟ كيف جئتَ؟
انْسللتَ من شقوقِهِ؟ هدمتَه؟ أخرجك السَّجّانْ؟

مهيار أخرجني سُلطانْ

كالشّمس لا يموتُ،

كالإنسانْ

(يمدّد بين خشبتين. يقطع رأسه. يقطع جسده إلى أجزاء صغيرة ترمى في جبٍّ للأسود. الأسود لا تأكلها، بل تنحني وتبتعد عنها).

- ٣ -

(جمهور، مهيار، تيمور، الساحر)

أصوات شبيهُه. كأنه مهيارْ

يعودُ، كيف عادْ

يا سيّدَ الأسرارْ

يا ساحرَ البلادِ كيف عاد؟

تيمور: شبيهُه؟ مهيارْ...

أموتُ، كلُّ خَلجةٍ طاعونْ

أموت... كلّ عُضْوٍ يفرّ من ثيابي،

يدورُ كالمجنونْ

مهيارُ؟ عادَ، أين... أين ساحرُ البلادْ

ماذا ترى؟ رأيت؟ كيف؟

الساحر: ... ثوراً

أُريد ثوراً أسودَ الجبين والقَرنين،
تحت فكِّهِ السّفليّ شامتانِ،
لكي أرَى الآتي كما يراني...

تيمور: أخْرِجْهُ من قميصهِ...

الساحر: أمسخُهُ!

تيمور: جرادَةً، أو نملةً عرجاءَ، أو حِرباءْ...

الساحر: مُرْلي بكأسِ ماءْ...

(يجيء الثور. ينفث في إحدى أذنيه فتصير اثنتين. ينفث في الثانية فيصير الثور ثورين. يأخذ بذاراً يبذره ويحرثه. نبت الزرع وأينع وحُصد. ذُرّي وطحن وعجن وخبز وأكل في ساعة واحدة. أخذ كأس الماء ونفث فيها. أعطاها إلى مهيار وأمره أن يشربها. يشربها مهيار كلها).

الساحر (إلى مهيار):
ماذا تُحسّ الآنَ؟

مهيار: كلّ جزءٍ
في جسدي يَنبوعْ
(يبتسم. صمت.)
واشتدّت الحياةُ في عروقي...

الساحر (إلى تيمور بيأس):
كأنّه من طينةٍ
مجهولة الفُروع والأصول ـ أنتَ نارٌ

في الأرض، وهو نارٌ في الأرض والسماءِ،
وهو النَّفَسُ المزروعْ
في رئةِ الحياةِ. . .

تيمور (بغضب الوحش):
إنّ سيفي
أحدُّ
إنَّ فتكي
أشدّ. . . لن ينهضَ بعد الآنْ ـ
أنا هو الجحيمُ والديّان.

(يصنع من النحاس تمثالاً مجوفاً بشكل ثور يحشوه نفطاً ورصاصاً وكبريتاً وزرنيخاً. يدخل مهيار في جوفه. يشعل فيه النار. يلتهب وينصهر ويتحول كل شيء إلى رماد.

تهب ريح تملأ الفضاء سحاباً أسود ورعوداً وصواعق وأعاصير. يسودّ ما بين السماء والأرض، ويمكث الناس أياماً حائرين لا يميزون بين الليل والنهار. يتحرك الرماد ويخرج منه مهيار).

الراوي: وقيل صارت تُمطر السماءْ
ناراً على المدينةِ. استُلِبَتْ
فَانْسحقت واحترقَتْ،
وبقيتْ زماناً
يخرجُ من أنقاضِها دخانٌ

يَشمُّه الناسُ فيسقطونْ

موتى،

ومهيارُ دَمٌ وماءْ

والأرضُ مثل وجههِ،

تبدأُ، مثلَ صوتِه . .

والنّاسُ يُولدونْ . . .



أربع أغنيات لتيمور



١ ـ مرآة للشرع

فَاجىءْ
جسدَ العذراءْ
جَسَدَ الحُبلى . . .
فاجىءْ وافْتكْ
لا تتركْ شيخاً أو طِفلاً . . .
هذا شرعي.

٢ ـ الغزو

يَخْترقُ العُصفورْ
والخيلُ والنّساء والأرصفه
تُقْسَمُ كالأرغفهْ
بَين يَديْ تيمورْ.

٣ . هم

جَاؤوا
دخلوا البيت عراةً
حفروا
طمروا الأطفالَ، وعَادوا . . . .

٤ ـ السيل

مهيار غنّى حَنا، بَرَّأ صلّى ودانْ
بارك وجهَ الجنونْ،
ذَوَّب في صوتِه
جرْح العصور، اشتهى
لصوته أن يكونْ
سيلاً، وكالسَّيل كانْ . .

مرايا وأحلام حول الزمان المكسور



١ ـ الماضي

كم حملتُ الحجَرْ
من تلال سمرقندَ، صُغْتُ الحجَرْ
حربةً،
أو قِلادَه
لعشيقاتيَ الجواري،
كم نسجتُ البشَرْ
خيمةً،
أو وسادَهْ...

٢ ـ الحاضر

زَمَنٌ يجري، زمنٌ يهرب مثلَ الماءِ
وأنا أجري...
كلُّ نهارٍ سكّينٌ في أحشائي
والليلُ حرابٌ

أشعرُ أنَّ الشمسْ
تَعْرى
ترقدُ فوق سريري مثلَ امرأةٍ،
حين يقالُ: «قطعنا رأسْ»...

٣ ـ مرآة طاغية

سنبلةً سنبلَهْ
لا تتركوا سنبله
فإنَّ هذا الحصَادْ
فردوسُنا المستعادْ
بلادُنا المقبله

ومزّقوا القلوبَ قبل الصّدورْ
واقْتلعوا الجذورْ
وغيّروا هذا التُرابَ الذي
أَقَلَّهم،
وامْحوا زماناً روى تاريخَهم
وامْحوا سماءً حَنَتْ عليهمُ...
سنبلةً سنبلهْ
كي ترجعَ الأرض إلى عهدها...
سنبلةً سنبلهْ..

٤ ـ الرصاصة

رصاصةٌ تدورْ
مدهونةٌ بألقِ الحضاره
تَثقبُ وجهَ الفجر ـ كلَّ لحظةٍ
يُعاد هذا المشهدُ ـ
الحُضورْ
يُجدّدون جرْعةَ الحياة، يَنشطونَ، لا ستاره
لا ظِلّ، لا استراحةٌ:
ألمشهدُ التّاريخُ،
والمُمثّلُ الحضاره.

٥ ـ مرآة السياف

ـ هل قلتَ إنّكَ شاعرٌ؟
من أين جئتَ؟ أُحسّ جلدَكَ ناعماً . .
سيّافُ تسمعُني؟
وهبتكَ رأسَه ،
خذهُ، وهاتِ الجلْدَ واحذَرْ أنْ يُمسَّ الجلدُ
أشهى لي وأغلى . . .
سيكونُ جلدُكَ لي بساطاً
سيكونُ أجملَ مخملٍ ،

هل قلتَ إنّكَ شاعِرٌ؟

٦ ـ الشاعران

بين الصّدى والصّوت شاعرانْ
ألأولُ النّاطق مثلُ قمرٍ
مُكسَّرٍ،
والآخر الصّامت مثلُ طفلٍ
ينامُ كلَّ ليلةٍ
بين يدي بركانْ.

٧ ـ دمشق

دمشقْ
قافلةُ النجوم في سجّادةٍ خضراءْ
ثديان من جمرٍ وبرتقالْ
دمشقْ
ألجسد العاشق في سريرِه
كالقوس،
والهلالْ
يَفْتَحُ باسْم الماءْ
قارورةَ الأيام، كلّ يوم
يدورُ في مدارك الليليّ
يسقط في بركانك الشّهيّ
ذبيحةً . . .
والشّجر النائم حول غرفتي

ووجهي
تُفّاحَةً
وحبّي
وسادةٌ، جزيره . . .
لو أنها تجيءْ
لو أنّها تجيء
دمشقْ
يا ثمر اللّيل ويا سريرَهْ .

٨ ـ مرآة للملك الحريم

تَقدّمي ، من أنْتِ يا قبيلَهْ
لا ذَهباً حملتِ ، لا دِمقْساً
للملكِ العظيمْ
لا خيلَ لا لُباناً لا حجراً كريمْ
ولا أرى جديلَهْ
لِمن ، لماذا هذه المسيرَهْ؟
كوني ، إذن ، من خَدَم الأمير
أو مِن خدم الأميره .

٩ - بيروت

- ١ -

يَسكنُ في بيروتْ
والأرض في عينيه أبجديّهْ
وخمسُ جامعاتْ
والصّخر تفّاحٌ وأغنيات.
لكنّه يموتْ ـ
يموتُ في تَمتمهْ
كأنّه يسكن في جمجمه
بغير أيامٍ ولا هويّه.

- ٢ -

كانت المائدهْ
غُرفاً،
يتصايَحُ فيها الضّيوفْ

كانَ لحمُ الخروفْ
جَبلاً ، والشّرابْ
ساحراً حوله يطوفْ
وعلى الشُّرْفة الذهبيّة في قبّة المائده
كانَ وجهٌ يبيدُ مع الأوجه البائده ـ
كانَ وجهُ الكِتابْ .

ـ ٣ ـ

عائشةٌ مرَّت ، فكلُّ ليلٍ
تَخْتٌ ، وكلّ ناقةٍ مصباحْ
لِلجسد الضّرير أو للزّمنِ الضّريرْ
عائِشةٌ تجتاحُ ـ لونُ الشّهوة اجتياحْ
راقصَها الأميرُ وهو لابسٌ قبَّعة الشحّاذِ
أو راقصها الشّحّاذُ وهو لابسٌ قبّعةَ الأميرْ
سامرَها غنّى لها حتّى غفا الكلامْ
لفَّ عليها زندَه وغطّى
سُرَّتها ، ونَامْ . . .

١٠ ـ مرآة لزيد بن علي

أستَشْرِفُ المكتوبْ
في صفحةِ الخلافه
مَرْسومةً كالقبرِ تحتَ راحتيْ هشامِ :
رأسكَ بين النَّصْلِ والرّصافَه
مُهاجرٌ
والجسَدُ المصلوبْ
يُنثرُ مثلَ الصّوتْ
في نَهَرٍ . . .
ـ لا ، لن يحولَ سيفٌ
لا ، لن يحولَ موتٌ . .
لي وَطنٌ في الماءِ ـ غيرُ الموتْ
يَجهلُ ،
غير الصَّلْب والحَريقْ
يجهلُ أنْ يُقرِّبَ المسافَهْ

ما بيننا،
ويفتح الطَّريقْ.

واخترقَ النصْلُ جَبينَ زيدٍ،
ونُكِّستْ راياتُه . .
ـ ارفعوهُ
غَطّوهُ، خَبّئوهُ
عن أعين الأعداءْ
هُنا، هُنا . . .
لَفّوهُ بالأصواتِ بالوجوهْ،
بالعُشْب خَبّأوهْ
في الماء، في ساقيةٍ خضراءْ.
وها همُ الأعداءْ
يأتونَ . . .
بعدَ لحظةٍ رأوْهُ معلّقاً
يُحْرَقُ فوقَ الماءْ
يُنْثَرُ فوقَ الماءْ ـ
ألجسْمُ يَصّاعَدُ في رمادٍ

مُهاجرٍ كالغيمةِ الخفيفَهْ
والرّأسُ وَحْيُ نارْ
عن زمن الغُيوب والثّورةِ والثّوارْ
يَقرؤهُ السيّافُ للخَليفَهْ . . .

١١ ـ مرآة رجل يروي

لو أنّني وُلدتُ قهرمانْ
في القَصْرْ،
أوْ مزيِّناً لزوجة الخاقانْ
لكنتُ أقواساً على الدّروبِ
لكنتُ قوّاماً على الرّؤوس
أصنعُ منها النُّقْلَ والندامى
والخمرَ والكؤوسْ
أصنع منها نكهةَ الشّعوبِ.

١٣ - مرآة لزرياب

كلّ شيء يغنّي كزريابَ -
سيفُ الإمارَهْ
وحذاء الأميرة، والنّفط - (عصرُ الأغاني
عربيٌّ)،
وتعويذةُ الجحيمْ
والصّلاةُ، ومقصورةُ الحريمْ
ودَمٌ يُسْدِلُ السّتارَهْ.

١٣ ـ مرآة الفقير والسلطان

(ـ ماذا؟ ألا تخافُ؟

ـ لا قصَبُ عندي، ولا خِرافُ

ومَرّةً، غرزتُ في مَكانِ

أصابعي، فَانْفتحَ المكانُ

وبانَ شِقٌ خَرَجَ الدُّخانُ

مِن فمهِ، وجاءَ ثعبانٌ كبيرٌ أصْفَر

أخذتُهُ، فَركتُه

وعندما حدَّقتُ في رمادِه، تلاشى. . .

ـ وحَرسُ السّلطانْ؟

ـ طارَدني، فجاءَ فرسانُه

وكنتُ في خَلوتي أنامُ، فانْتبهتُ

رأيتُ قُدّامي

نعامةً، أو ناقةً

نسيتُ، لكنّني

ركبتُها،
فأخذَتْ تمشي
في السّقْفِ، والفرسانُ ينظرونْ
فَبُهِتوا، وسقطوا من خوفِهِم، وماتُوا،
وبعدها، لم يجرؤ السّلطانْ
على دخول بيتي..)

١٤ ـ امرأة ورجل

ـ رأيتُ أنَّ فارساً
من السَّماءِ حاملاً
قارورةً يملؤها تراباً، قَدَّمها إليَّ ـ
كان أحمراً يسيلُ منه دمك ـ انْقَلَعْتُ
كالعشبة من سريري . . .
ـ اطمئنّي،
ألحيرةُ التي ترجُّ نفسي تزولُ،
إنَّ ضوءاً يشعُّ ـ كلُّ جوعٍ
جوعي
وكل جُرْحٍ
جرحي،
وكلّ موتٍ . . .
حُلْمُكِ يَسْتَنْفِرُ في كتابي
حروفَه والنّارَ والمجامرا

حلمكِ يُغريني كي أسافِرا
في هذه الحُفْنةِ من تُرابي . . .)

١٧ ـ مرآة الحجاج

(ليس له وراءْ
يرفضُ ثَديَ أمّهِ:
كانَ اسمُهُ الحجّاجْ.
وثقبوا فَأراً
وثقبوا وراءه
ودهنوا بدمه الحجّاج
وذبحوا تَيْساً ودَهنوا بدمه الحجّاج
فالتذّ بالدّماءْ
صارت له رضاعةً وأمّاً.

واستطرد الراوي:
. . . وصعد المنبرَ في يديهِ
قوسٌ، وفوقَ وجهه لثامْ
وقال، بالسّهام والقناع، لا بالصّوتِ والكَلامْ:

«أنا ابنُ جلاَ وطلاَّع الثنايا . . .»
. . . أنا هو السّؤالُ والنّبراسْ
أنا هُوَ الفَرّاسْ ـ
ويلٌ لمن يكون من فرائسي . . .)

وَزُلزِلَ المكانْ
واهتزّتِ البلادُ مثلَ شجَرَهْ
وسقط المَسجدُ مثلَ ثَمَرهْ
وسقط الزّمانُ.

١٦ ـ مرآة الرأس

(ـ سَايَرْتُهُ، رصدتُهُ
غلغلتُ في جفونِه
أيقظْتُ كلَّ شهوتي هجمتُ واحتززْتُهُ. . .
وجئتُ.
كانَتْ زوجتي نَوارْ
تفتحُ باب الدّارْ:
ـ أوَحَشْتَني، أطلتَ، كيفَ؟
ـ أبْشري،
جئتكِ بالدّهر، بمال الدّهرْ
ـ من أينَ، كيفَ، أينْ؟
ـ برأسهِ. . .
ـ الحسينْ؟
ويلَك، يومَ الحشرْ
ويلَك لن يجمعني طريقٌ أو حلمٌ أو نومْ
إليك، بعدَ اليومْ. . .)

وهاجَرْت نَوارْ.

١٧ - مرآة الشاهد

وحينما استقرّتِ الرّماحُ في حشاشةِ الحسينْ
وازَّينَتْ بجسَدِ الحسينْ
وداستِ الخيولُ كلَّ نقطةٍ
في جسدِ الحسينْ
واستُلبتْ وقُسِّمت ملابسُ الحسينْ،
رأيتُ كلّ حجَرٍ يحنو على الحسينْ
رأيتُ كلّ زهرةٍ تنامُ عند كتفِ الحسينْ
رأيتُ كلَّ نَهْر
يسير في جنازة الحسينْ.

١٨ ـ مرآة لمسجد الحسين

ألا ترى الأشجارَ وهْي تمشي

حدباءَ،

في سُكْرٍ وفي أناةْ

كي تشهدَ الصّلاةْ؟

ألا ترى سيفاً بغيرِ غِمدِ

يبكي،

وسيّافاً بلا يَدينْ

يطوف حول مسجدِ الحسينْ؟

١٩ ـ مرآة الحلم

خُذيهِ، هذا حُلُمي
خيطيهِ والبسيهِ
غِلالةً.

أنتِ جعلتِ الأمسْ
ينامُ في يديَّ
يطوفُ بي، يدورُ كالهديرْ
في عرباتِ الشّمسْ
في نَوْرسٍ يَطيرْ
كأنّه يَطيرُ من عينيَّ.

٢٠ - مرآة التاريخ

(- بَقيّةُ الرّطوبَة الأولى
تجفّفَت،
وَانْعصرتْ من طينها السّاعاتُ، ما تَبقّى
صارَ إلى ملوحةٍ
أو ربّما صارَ إلى مرارَهْ .)
وقال آخرونْ :
(- خلاصةُ الزّرنيخ بعد مزجها القويّ بالرّمادْ
أو عرق التُراب والحجارَهْ .)
وقيل : مثلُ حجَرٍ
يَرْشَحُ منه الماءْ .
وقيل : فيه ماءْ
تأخذهُ الشّمس لها غذاءْ
تصنعُ من فُتاتِه البخارَ، أو تصبُّه كالجَمْر
في حُفرةٍ عظيمةٍ كالدّهرْ،

ثمَّ يعودُ مطراً. . .

وقال آخرونْ:

(ـ دوَّامةٌ

وهو كمَنْجَنُونْ

يغرفُ ماءَ نهرٍ

يصبّه في جَدْوَلٍ

يصبُّ من جديدٍ

في ماء هذا النَهْرْ. . .)

. . . ووقفَ الماءُ معي زماناً،

تخلخلت مراكبي

وغابتِ المناره

وصارت الأمواج كالحجارَهْ ـ

هل بلغَ التَّاريخُ منتهاهُ؟

هل أومأتْ شمسي الى سواهُ؟

أبحرتُ فيه زمناً

رأيت ما رأيتُ ـ كلَّ جوهرٍ

رأيتُ كلّ طيبٍ،

رأيت خيزرانةً

تمتدّ مثلَ مَركبٍ
يصعدُ من أطرافِهِ لهيبُ
والشّمس والأيامْ
كالسّمكِ الطّافي -
وانقلَب المركبُ،
صارَ مرجلاً يفورْ. . .

وقال آخرون:
(- يسلكُ دربَ الشّمسْ،
فحينما تدخلُ في السّنبله
وحينما تدخلُ برج الحوتِ
أو تكونُ عند القوسْ
تشتدُّ أمواجهُ
وتكثر البلبله .)

وقال آخرون:
(- فيهِ من المَحار
ما يخافُ أو يحنُّ مثل أمٍّ
والقصَبُ المضيءُ
فيهِ
الغامضُ الشّريدُ

واللّؤلؤُ القريبُ والبعيدُ
والعنبر المدوّر الأزرقْ. . .
وحينما يبلعُه الحوتُ
يطفو، وبعد برهَةٍ، يموتُ
وقبلَ أن يجرفه التّيارُ
أو يغرق
نَشقّهُ
ونأخذ العَنْبرْ
من جوفِه
كقِطع الجبال أو أكبر. . .
. . . . ومرّة،
غسلتُه بخلٍّ
أطعمتُه المغنيسيا
وعسلَ النَّحْل وماءَ الزّاجْ
وجوهر الزّجاجْ. .)

وقيلَ: كرسيٌّ من الزُّجاج فيه مركبٌ
ملتصِقٌ بالشّمس فيه لؤلؤٌ
أو سرطانٌ تائِهٌ كالموج،

والتاريخُ مثلُ طائرٍ منبسطٍ في جَسد الإنسانْ
يصدحُ أو يطير أو يَعيشُ
في القبور . . .

(ـ . . . وَهْوَ غُونٌ
يظهرُ في الليالي ،
ينامُ في الطَريقِ أو يحومُ
يُزيلُ كلَّ باقٍ
يُتيه كلَّ سائر
ويَملأُ العامِرَ والخرابَ . . .
هكذا ، يقولُ بَطْليموسُ
والكوكبُ الذي يُسمَى الكلبَ ،
والنَجومُ ـ)

. . . أيتها السَوانحُ اكتَنزتُ ـ
باضَت تماثيلكِ في هَوائي
أجنحةً تطيرُ في ثيابي
هواتِفاً سمعتُها تغنّي
حاولت أن أراها ،
لكنني عجزتُ .

٢١ ـ مرآة الأرض

هذا الذي يَلِجُ في سريرتي
يقتلعُ النَّخيلَ والقبابَ والأجراسْ
يضربُ وجهَ الأرضْ،
هذا الدَّمُ الرَّافضُ، هذا الرَّفضْ
تلهّفٌ آخرُ، واشتعالٌ
باسْم الغد الطَّالع باسْم الأرضْ ـ
مملكةِ التَّاريخ ، والحضورِ، والأعراسْ
تلهّفٌ آخرُ، واشْتِعالٌ
بالزَّمن الفاتح راحتيهِ
مثليَ، بالأرضِ ونُورِ الأرضْ.

الرأس والنهر

(جسر قديم . ضفة على النهر تظللها ثلاث أشجار ـ حورة وصفصافتان .

نساء مشوهات يُظن أنهن ممرضات . عجوزان . أم مشوهة وطفلها . ثلاثة شيوخ . شبان مشوهون يستلقون تعباً وجوعاً .

تجري مياه النهر بطيئة موحلة) .

١ ـ القول

شيخ (بصوت ضعيف) :

الحرب زريبةْ

غَنمْ . . .

شيخ (بنبرة من يمزح) :

قالوا

إن الحرب حقيبَةْ .

(يصمت . يتابع بشيء من الجد)

لو أنَّ الحرب حقيبَةْ
لملأناها
خَرَزاً
وجلسنا فيها
وصبرنا . .

شاب (يظن انه كان جندياً):
قالوا إن الحرب وسادَةْ
(يتمدد كمن يحاول أن ينام)
وأنا الوسَنْ
شيخ ٣ (بنبرة حكيمة)
الحربُ وِسادهْ
للموتِ
وعادَهْ
(صمت. يتابع بلهجة غاضبة)
هذا الوَطنُ
زرعُ
والأيامُ جرادهْ.
أصوات (بعيدة، مجهولة):
قوافلُ سواداءُ مجهولَةٌ

تكمن تحت الماءْ،
هل أنت، يا سلالة الآباءْ
تجيءُ في ليلٍ من البهار
من توابل الرؤوسْ
والقتل،
من توابل الغابات والفؤوسْ

هل أنتِ، يا سُلالة الأمواجْ
تصعَدُ نحو كوكب المجهول، كالمعراجْ...
من أنتِ، من يجيبني؟ حنيني
نما هنا كَسَرْوةٍ، وطالْ
وها هو السؤالْ
في جسدي،
بُحيرةً...

٢ ـ الزمن المكسور

الجوقة (غير منظورة):
سيجيءُ السيلْ
قبلَ حلول اللَّيلْ.

(ما من أحد يهتم. يدخل شخص يحمل ناياً، يُظن أنه راع).

الراعي (بلهجة طبيعية):

حلمتُ أن رأساً

في النّهر. . .

(تقاطعه امرأة ١، وتسأله بسخرية ناعمة).

امرأة ١: هل سمعتَهُ يغنّي

كرأس أورفيوسْ

تذكُر أورفيوسْ؟

الراعي (بلهجة واثقة):

سمعته يقولْ:

(صمت، يتابع كمن يتذكر)

في البدء كانَ النّهرْ

كان حطامُ الزّمن المكسورْ

يُصْهَرُ في تنّورْ

من غضب الأمواج، كان الجمرْ. . .

(يخرج الراعي)

أصوات (بسخرية قاسية):

ها ها

رأسٌ محتالْ

ها ها

رأسٌ دجّالْ

(دوي انفجارات بعيدة. موسيقى صاخبة. ثم تتابع هذه الأصوات الثلاثة الحوار التالي).

صوت ١: في البدء كان خاتمُ الولايَهْ

صوت ٢: وكان في النّهايهْ

صوت ٣: في البدء كان النّفطُ والمنجنيقْ
وزوجةُ البطريقْ.

صوت ٢: في البدء، كان رأسٌ
يدورُ كالدولابْ

صوت ١: في البدء، كانتْ قبّةُ المحرابْ
(صمت. يتابع كأنه في حلم)
دخلتُ تحت قشرها
صعدتُ ـ حينَ عدتُ
رأيت أنّ الشّمس خيزرانةٌ.
مورقةٌ تلتفُّ حول بابي.

صوت ٣: في البدء كانت عُثّةٌ
تبيضُ في ثيابي...

(يفرك بيديه الاثنتين صدره وفخذيه. تعود الأصوات الثلاثة فتردد معاً).

الأصوات الثلاثة (بسخرية حادة):

ها ها   رأسٌ محتالْ

ها ها   رأسٌ دجّالْ

(قهقهة ساخرة. أشخاص كالأشباح يعبرون النهر قرب الجسر، يحملون أحذيتهم وأمتعتهم وأطفالهم).

٣ ـ القمر والرمانة

(موسيقى حب وموت. دوي انفجارات بعيدة).

شيخ ؟ (مستغرباً):

كيف يسير الرأسُ والإنسانُ لا يسيرُ؟

امـرأة ١ : (ساخرة):

كيف يغنّي الرأس والإنسان لا يغنّي؟

شاب ١ (متهكماً):

ألرأسُ لا يسيرُ بل يطيرُ. . .

(صدى صوت يبتعد هو صوت الراعي)

الراعي (من بعيد):

تسبح عن يسارِهِ

تركضُ عن يمينِهِ

الضِّفافْ
والأرضُ وجه امرأةٍ
تطوفُ، والطّوافْ
تُفاحَةٌ...

امرأة ١ (تناول حصاة كالتفّاحة تقدمها إلى شاب ١ يجلس قربها):

هذه لحظة الدخول إلى الهُوّةِ المستنيرَهْ
هذه لحظة اللّقاحات والليلة الأخيرهْ...

(يتعانقان وهو يأخذ الحصاة. يتمدّدان ويتهامسان).

شاب ١ (معانقاً امرأة ١):

لي شهوتي
أن أشعل النّهدين في أيّاميَ الغريبهْ
أن أعرف الحياةَ لا السّلطانَ
أسهرَ في بستانْ
يسهرُ فيه قمر الحبيبَهْ

(موسيقى موت وحب)

شيخ ١ (فجأة إلى شيخ ٢):

نزل القمرُ
طَوّف حولَ نوافذنا

وترصَّدنا

كان الموتُ دليلاً

كان الحجَرُ . .

شيخ ٢ (كأنه يستيقظ من النوم):

. . . وسجَد النّجمُ

وكان في يسارِه

قوسٌ

وفي يمينه سَهْمُ

فسقطَ العدوُّ . . .

(صمت. ثم يتابع كأنه يحلم)

. . . رَفَّ حولي

جبريلُ، قال ـ أبشرْ

ومَدَّ لي سكّرةً

طعمتُها،

ولم يزل في فميَ الطّعمُ.

(يحرّك شفتيه ولسانه كمن يتذوق طعم سكرة طيبة. تلمح جثة منتفخة لفظها النهر: جثث تنقل من بعيد قرب الجسر. دوي انفجارات بعيدة).

تقيّأي رملَك يا مدينَةْ

وجهُكِ وجهُ صخرةٍ
والكونُ في وجهكِ مثل دُمَّلٍ

(صمت. امرأة تحتضر، تموت، يغطيها شخصان، يحملانها ويخرجان. تتابع الجوقة بإيقاع غاضب):

ألقمرُ الشّيخ كتابُ شَرْعٍ
حرقتُه
والزّمنُ انْهدامٌ
في رئتي، ووجهي
يَنْشَقُّ مِثْلَ قَبرٍ...
تَقيّأي رملَكِ، يا مدينَهْ.

(موسيقى موت وغضب)

شيخ ٢ (كأنه لم يسمع الجوقة، متابعاً حديثه الأول):

نادتنيَ الرّمانَهْ -
خذني كما تراني
مليئة عريانَهْ
كُلْني...
أكلتُ،
طالتْ،
وسكرتْ بحبّي

وترصَّدنا

كان الموتُ دليلاً

كانَ الحجَرُ . .

شيخ ٢ (كأنه يستيقظ من النوم):

. . . وسجَد النّجمُ

وكان في يسارِهِ

قوسٌ

وفي يمينه سَهْمُ

فسقطَ العدوُّ . . .

(صمت . ثم يتابع كأنه يحلم)

. . . رَفَّ حولي

جبريلُ ، قال ـ أبشرْ

ومَدَّ لي سكّرةً

طعمتُها ،

ولم يزل في فميَ الطَّعمُ .

(يحرّك شفتيه ولسانه كمن يتذوق طعم سكرة طيبة . تلمح جثة منتفخة لفظها النهر : جثث تنقل من بعيد قرب الجسر . دوي انفجارات بعيدة) .

تَقيّأي رملَك يا مدينَهْ

وجهُكِ وجهُ صخرةٍ

والكونُ في وجهكِ مثل دُمَّلٍ

(صمت. امرأة تحتضر، تموت، يغطيها شخصان، يحملانها ويخرجان. تتابع الجوقة بإيقاع غاضب):

ألقمرُ الشّيخ كتابُ شَرْعٍ

حرقتُه

والزّمنُ انْهدامٌ

في رئتي، ووجهي

يَنْشَقُّ مِثْلَ قَبرٍ. . .

تَقيّأي رملَكِ، يا مدينَهْ.

(موسيقى موت وغضب)

شيخ ٢ (كأنه لم يسمع الجوقة، متابعاً حديثه الأول):

نادتنيَ الرّمانَهْ ـ

خذني كما تراني

مليئة عريانَهْ

كُلْني. . .

أكلتُ،

طالتْ،

وسكرتْ بحبّي

وحملتْ في العام مرّتين . . .

شيخ ١ (يجيبه حالماً):

حلمتُ ـ

دار الوجدْ

خَطَّفني،

دخلت بيتَ النّارْ

خرجتُ يسّاقَطُ منّي الوَردْ

كأنني آذار أو نوّارْ.

(موسيقى قديمة سحرية)

شاب ١ (إلى امرأة ١):

نهداكِ، في نهديك طفلتانْ

واحدةٌ تموتُ من هزالِ

واحدةٌ تذوب في قبله

فلْنكسر الزّمانْ

كالغُصْن،

إنّ الكونَ بهلوانْ

إنّ إلَهَ العالم المقصلَهْ.

(موسيقى غضب وقوة)

٤ ـ السيل

(الأم تحتضن طفلها، منتظرة موته بين لحظة وأخرى. يدخل الراعي مسرعاً).

الراعي (مخاطباً الجميع):

ابتعدوا،

تحرّكوا،

فالسّيلْ...

(يقاطعه صوت ساخراً)

الصوت (مقاطعاً):

سوف يجيءُ السَّيل

قبلَ حلولِ اللَّيلْ...

(يخرج الراعي)

الجوقة (غير منظورة):

نعرف، هذا زَمن السّيول

نعرف، هذا زمن الأفولِ

(صمت. موسيقى إيقاعية سريعة)

نسمعُ أنَّ آتياً

يغيّر الدروبْ

يَدْهَنُ وجهَ الأرض، يَسْتَبيهِ

ينفخ فيه الدَّاءَ والشّحوبْ.
نَسمعُ ـ أفخاذٌ من البلّورْ
آتيةٌ في السيلِ،
كلٌّ فخذٍ
مُبطَّنٌ
كأنه بلقيسُ،
أو كأنّه تَيمورْ.

(صمت. الموسيقى تعود إلى التسارع)

نَعرفُ
أفراسٌ،
وحوشُ ماءٍ،
تجيءُ في السَّيلِ،
وفي الضفافْ
تطوفُ غاباتٌ من القُبورْ
وانْتهتِ الأجيالُ والعصورْ
وما انتهى المطافْ.

(يموت الطفل. تحتضنه الأم)

الأم (بصوت مخنوق):
يا مَوتُ،

يا صديقَ الأطفالِ
ضُمَّ طفلي،
واحملْ له ألعابَهُ، وأطبقْ
جفنيه كي يحلَم، كي يراني...
أدْخِلْهُ في بلادٍ
جديدةٍ، يَرودْ
أسرارَها،
يَبْقى ولا يعودْ.

(تضع الأم طفلها على الأرض، دون غطاء. تخلع عجوز ١ معطفها الأسود الممزق وتغطيه. يدخل شخصان مقنعان يحملانه ويخرجان. موسيقى جنائزية).

الجوقة (غير منظورة):

تفتّحي يا وردة الدماءْ
في جثّة العصفورِ،
في صبيّةْ
محروقةٍ، في نَهرِ الأشلاءِ
في الأطفال يُخنقون في السّماءْ
يابسةً كوجهِ مومياءْ
تفتّحي كبذرةٍ خفيّةْ

لدورةِ الفصول،
تفتَّحي
هذا هو اللِّقاحُ هذي رعشةُ الحقولْ.

٥ ـ صوت من الماء

(دوي انفجارات بعيدة. أسراب طيور فوق الجسر. يدخل شاب صغير السن أتعبه الركض كما لو أنه كان يسابق مجرى النهر).

الشاب (صارخاً):
رأس مهيار يجري...
(يخرج راكضاً)

شيخ ٣ (دون دهشة، لنفسه):
يخطرُ لي خاطرٌ
وفجأةً،
أراهُ مرقوماً على ثيابي.
(صمت. لنفسه)
عرفت أنّ موته قريبٌ...

الجوقة (غير منظورة):
رأسه الجُرحُ والنّزيفْ
رأسهُ حولكم يَمامَةْ

تحملُ الأرضَ كالرغيفْ
رأسه حولكم عَلاَمةْ.

(صمت. موسيقى موت قوية).

مات مهيار ماتْ
مثلما تنضج العناقيدُ أو يُزهر النّباتْ
مثلما يُكْسَرُ القَمر
وتُهَدُّ البيوتُ
مثلما يُطفأ الشّرَرْ
مثلما تَحضن البراكين أسرارها وتَموتُ...

(يسري جو من الرّهبة يرافقه نوع من الحزن في نفوس الحاضرين، إلا قلة من الشبان).

شاب (يحتضن زجاجة فارغة):

أُقيم في همومي
كأنني أقيم في زجاجهْ
مملوءةٍ بآية البُخار
أعيشُ كالدّجاجَهْ
في حوشيَ المغطَّى
بالقَشِّ والغبار.

شاب ٣ (يجلس القرفصاء محركاً التراب):

أبحث في مملكة الرَّمادِ
عن وجهك المدفون، يا بلادي

شاب ٤ (بغضب):
كيف تُكَمُّ الشَّمسُ عن عيوننا
وتُوصَدُ الأبوابْ
أمامنا،
هل نحن من سُلالة اليقظين
أم سلالة اللَّبلابْ؟

الجوقة (بما يشبه الترتيل):
لأنَّ في أعماقِنا بقيَّةْ
من خَدَرِ التَّاريخ،
من غِيلانِه الخفيَّةْ
ماتَ،
لأنَّ العالَم اغتصابُ
وأرضَنا ضحيَّةْ.

(صمت. موسيقى هادئة)

صوتٌ من الماء، يقول الصَّوتْ:
ماتَ لكي ينهيَ عهدَ الموتْ...

شاب ٥ (بشيء من التمرد اليائس):

من أينَ؟ كيفَ نفتدي، نُعاني
تفتّتَ الإنسانِ أو تفتّتَ المكانِ
أرملةٌ تجرّ ناهديها
كخرْقةٍ.

الجوقة (بترتيل):

صوتٌ من الماء، يقولُ الصوتْ:
ماتَ
لكي يُنهيَ عهدَ الموتْ.

(موسيقى هادئة. أسراب طيور فوق الجسر. جثث تنقل من ضفة إلى ضفة).

الأم: زَمنُ الموتِ يبدأ
أين أرمي خطايَ، إشردُ، أم أين ألجأ؟
غرقت رقعة الزّمانِ
ولم يبقَ مرفأ.
(تبكي)

امرأة ٢ (حاضنة الشاب ١):

لونُ صدري جزيرةٌ
لونُ ثديي مرجلٌ
لك عيناي مرفأ

لكَ فخذايَ جدولُ
والغبارُ الذي يلفُّ ذراعيك مُخملُ
لي بلادٌ ومُخملُ . . .

الشاب (فيما يطوق خصرها):
خصرُكِ لي نموذجٌ وصوره
لهذه المعمورَهْ .

(موسيقى جنسية صاخبة . تهدأ الموسيقى ، فيسمع من بعيد صوت يخرج من ماء النهر ، يظن أنه صوت الرأس) .

الرأس (صوت بعيد):
ليسَ صوتي إلَهاً
ليس صوتي نبياً . . .
صوتيَ النّارُ والنّفيرْ
صوتيَ الصّاعقُ المزلزل ، والطّالِعُ البَشيرْ

الجوقة (غير منظورة):
وجه مهيار في الماء يسطع كالجوهرهْ
لم يعدْ غيرَ صوتٍ
والحقولُ المزامير ، والنّهرُ الحنجرهْ

أصوات (بسخرية):
ها ها

رأس يسرقُ مُلكَ النَّاسْ
يهذي
ها ها
رأسُ الخنَّاس الوسواسْ. . .

الرأس (صوته يقترب شيئاً فشيئاً):
أصواتكم حصارٌ
لكنني محصَّنٌ بصوتي

محرَّرٌ
برفضيَ البارىء، بانفجاري
كأنّيَ المهَبُّ أو كأنّيَ البركانْ
باسْم الغد الصّديق،
باسم كوكَبٍ
سمّيتهُ الإنسانْ.

(صمت)
وكان موتي عشبةً
في الماء، مثل طفلةٍ من زَهر اللّوتَس
مثلَ نَوْرسٍ يعرف أن يكونْ
زنبقةً بيضاءَ، قوسَ قزحٍ
يحبّ أن يكونْ

كالبَحر، نبضاً هائِجاً

وغابهْ

من فرحٍ كالموج، من كآبَهْ

ترقد تحت شجر الصفصاف مثل طفلةٍ.

وكان موتي طائراً

حَوَّم في خميلة الغرابَهْ

وطارَ،

صار نَهَراً يفيض، صارِ رأساً. . .

وكان موتي لاجئاً

في فجوة الزمان، كان لاجئاً

يُضيءُ مثل كوكبٍ يُضيءْ

وكان موتي فُوهَة الزّمان، كان الوعدَ والمجيءْ.

الجوقة (غير منظورة):

مُدَّ لنا يديكْ

أفرغْ لنا تاريخك الملآنْ

نلمحُ في عينيكْ

من دمِنا

ناعورةً ونبعْ

يا وطناً عطشانْ

يا وطناً ممتلئاً بالدّمعْ . . .

الرأس (وحده):

أثقبوا جبهتي قيّدوني

وخذوا حربةً وانحروني

مزّقوني كُلوني

واقرأوا كيمياء المدينَةْ

بين أشلائي الأمينَةْ .

الجوقة (غير منظورة):

جَسَدٌ مغروسٌ في البريّهْ

والنّهر دَمٌ والموجةُ نورْ

جسَدٌ هدّته الحرّيهْ

جسدٌ تبنيه الحرّيهْ . . .

الرأس (بصوت يزداد عمقاً وحزناً):

صانعٌ غيركم أصدقاءَ

صانِعٌ غيركم فضاءَ . . .

الجوقة (غير منظورة):

فارسٌ ،

يا عرّاف الحبّ ، لأيِّ مكانْ

تمضي؟
خُذْنا، خذنا . . .
ألدّنيا سَرْجٌ يدعونا
والنّهرُ حِصانْ .

(موسيقى سريعة هادرة . ينهض الجميع خائفين لأن السيل فاجأهم . يحاولون أن ينجوا، لكنهم يعجزون، ويجرفهم. فيما تغيّبهم أمواجه يبدو الرأس جارياً على صفحة النهر كأنه جزء من الماء) .

الرأس (بصوت مهيب):
سار أمامي جسدي
أزمنةً، مدائناً
تواكِب النّهَرْ
مَسرحُها بضِفّتين ـ الحبُّ والبَشَرْ.

أليوم أكملتُ اكتملتُ: صوتي
يفهمه الزّلزال والأطفال والرَّبيعُ
يَفهمهُ الجميع ـ
صوتيَ لا يُرَدُّ مثلَ موتي .
سَكنتُ كلّ عشبةٍ
آلفْتُ بين الصّخر والنبات
بين غبار الطّلع والمرايا

وجنس أغنياتي.
لي وطنٌ
لا يعرف التّخومَ، لا تحدّه الشطآنْ
تحدّه علامتانِ ـ الشّمسُ والإنسانْ
وها أنا أطوفُ
كي أزلزلَ الحدود، كي أعلّم الطّوفانْ.

الجوقة (غير منظورة):
نقرأ في الطّوفانْ
كتابةً
عن وطنٍ يسقطُ مثلَ ورَقٍ...

أصوات (ساخرة، بعيدة، غير منظورة، مقاطعة):
وطَنٌ ـ
منْخلُ ماءٍ
وطنٌ يُفتَح كالدّكانْ.
وطنٌ يُقفَلُ كالدّكانْ

الجوقة (بإيقاع سريع):
نقرأ في الطّوفانْ
كتابةً،
عن وطنٍ

يسْكن مثل شهقةٍ
في رئة الإنسانْ.

الرأس (والجوقة معاً):

غائبٌ حاضرٌ كمائِكَ يا نَهْرُ
حويتُ الأسماءَ والأشياءَ
فاحتضنّي واستنْفر الرّعدَ في صوتي
وهجْسَ التكوين،
والأنواءَ
واجْرِ يا نهر فِطْرةً
وكن النشأةَ،
كن صرخةَ الدّم العذراءَ.

(صمت. أسراب طيور فوق الجسر. فيما يغيب الرأس يسمع صوته يتحدد شيئاً فشيئاً).

الرأس والجوقة معاً (بإيقاع هادىء):

لا أعرفُ التخوم لا تحدّني الشُطآنْ
تحدّني علامتان ـ الشّمس والإنسانْ
وها أنا أطوفُ كي أزلزلَ الحدودَ، كي أعلّم الطوفانْ.

(موسيقى غضب وفرح. تهدأ الموسيقى. يبدو في مشهد جديد شيخ وحوله أطفال كثيرون يخبرهم بقصة الرأس).

٣

شيخ ٣ (للأطفال):
واشتَعل الفضاء مثل وجهه المهاجر الظمآن
وحالَ: كلّ نجمة
زَجاجَةٌ والقَمَر المصباحْ
ونامت الدّنيا على الحيطانْ
ستّة أيامٍ بلا ضياءٍ
واستسلم الزّيتون والتّفاحْ
للدّمع.
لو قلبْتُم الحجارَ، لو شهدتمْ ـ
فتحتَ كلّ حجَرٍ غديرٌ
من دمهِ،
والزّمَنُ المُعَصفرُ الملآنْ
بجرحه، ربابَهْ
غَنّت، فكلّ نخلةٍ خريفُ
يبكي،
وكلّ صخرة سحابَهْ.
(يصمت. يبدو الأطفال مشدودين بذهولٍ إليه. ثم يتابع حالماً).

عند غروب الشمْسْ
في فَلكٍ يصعَدُ كالزّفيرْ

يُعلِّق الهواءْ
مدينةً للحزن، والشّموع حول الرّأسْ
ويُسمعُ البكاءُ تحت الأرض كالهديرْ.

(صمت)

أصْغوا إلى الهواء، في الهواء ما يَقولُ فيه زَغَبٌ
وحمًى،
وفي الهواء ماءْ
يغسل وجه الزَّمَنِ المُدَمَّى
يجرفُ،
أو يبدع ما يشاءْ.

(موسيقى. صوت عاصفة. أمطار)

السماء الثامنة

(رحيل في مدائن الغزالي)

قافلةٌ كالنّاي، والنّخيلْ

مراكبٌ تغرق في بحيرة الأجفانْ

قافلةٌ ـ مذنّبٌ طويلْ

من حَجر الأحزانْ

آهاتُها جرارٌ

مملوءةٌ باللهِ والرّمالِ:

هذا هو الغزالي

يجيئنا في كوكبٍ

تَحْضنُهُ نساؤنا

تصوغ من بهائهِ

الثّياب والأحلامَ واللآلي.

يبتدىء السُّقوطُ في مدائن الغزالي

يُستَنْزَلُ الفرقانُ واللّسانُ

وتعلّقُ الجباه بالغبار، ـ في مدائن الغزالي
شَرارةٌ ليس لها مكانْ
والرّيحُ مثلُ جَمَلٍ.

وبعدَ أنْ يصمتَ أو يضيعَ سائلٌ
تَجرُّهُ حشيشةُ السُّؤال، يعرفُ: كلُّ نَهْرِ
يصبُّ أو ينبعُ في مدائن الغزالي
يصيرُ صِهْريجاً من الدّموع
يدورُ في ناعورةِ الشفاه أو في قفص الضلوع:

ـ والوطنُ المفتوحُ مثلَ كَفَنٍ
يَمامةٌ تُذبح في ينبوع
رأيتُ فيه أمةً...
رأيت فيه القمر المقطوع
من أوجه الأطفالْ،
والزّمنَ المنكّس المخلوع
والزّمنَ الآتي كالزّلزال...

يبتدىء السّقوطُ في مدائن الغزالي
يختلج الشّارع كالسّتارهْ
والزّمنُ الرّابضُ مثل خنجرِ

يغوصُ تحت العنْقِ ،
والمنارَهْ
ستارةٌ سوداءْ.

أهدمُ، كلَّ لحظة ،
مدائنَ الغزالي
أُدحرجُ الأفلاكَ فيها، أُطفِىءُ السماءْ:

ـ والفجرُ مثلُ طفلِ
سبعُ حراب سودْ
سبعُ سماواتٍ بلا حدودْ
تهيم في خُطاهُ.

ويدخل الموتى ويخرجون
من نَفَقٍ أخضرَ ـ في مدائن الغزالي
يأتون في كلامٍ
يئنُّ، في دروبٍ كالملح، في كتابِ
يموتُ، دفَّتاهُ
رَقْصٌ وصافناتٌ...
ويدخل الموتى ويخرجون...
ـ ... والشّمس في ثيابهمْ

جاريةٌ صفراءْ
مدهونةُ الثديين بالقلوب
بالحجر الأحمر، بالكبريت والغيوب
تسقطُ كلَّ ليلةٍ
في نشوة الإسراءْ
تلتهمُ السّيوفَ والسنينا،
تطرحُ، كلّ لحظةٍ، جنينا...
ويدخل الموتى ويخرجون...
توعّدي يا فَرَس النّبيّ في مدائن الغزالي
تَوعّدي خُطايَ والطّريقْ
عذابُك الكبيرُ مثلُ خيمةٍ
كَسّرْتُ فيها خاتَم الزّواج، والكوثَرَ، والرّحيقْ
تَوعّدي، أعرفُ كلّ خلجةٍ
في جسمك العتيقْ
أعرفُ ما يقولهُ عذابُكِ الكَبيرُ - في مدائن الغزالي
مُسافرونَ...
- أين تذهبونْ؟
لن تصلوا، فهذه الطّريقُ لا تمرُّ في دمشقَ، والصّباحْ
ترسمه الأنصابُ والأشباحْ
مسافرون يخبطونَ...

أين يذهبونْ؟
من جُثث الآباء يحملونْ
تمائماً
والتِّيهُ في أقدامهم طريقٌ
والرّملُ في وجوههم عيونْ.
. . . (شددتُ فوق جسدي ثيابي
وجئتُ للصّحراءْ
كانَ البراقُ واقفاً يقودُه جبريلُ، وجهُه كآدمٍ،
عيناه كوكبانِ
والجسم جسم فرَسٍ. وحينما رآني
زُلْزِلَ مثل السّمكَهْ
في شبكَهْ. . .)

أيقنْتُ، هذا زَمنُ التّناسُخ ـ الإضاءَهْ:
الشّمسُ عينُ قطّةٍ
والنّفطُ رأسُ جملٍ
تقلّد الخنجَر والعباءَهْ،
وكلّما سايرتُ في طريقي
يمامةً أو زهرةً
أو غبتُ في إشاره

بيني وبين الضوء، وانحنيتُ
كالنّبع في مسالكِ الحجارَهْ
تَنْبُتُ في جفوني
رصاصةٌ،
وكلّما قلت أحبُّ الماءْ
والزّمنَ الآتيَ، والأشياءْ
وكلّما حاولتُ أن أبنَي أو بنيتُ
تحتَ شموس الماءْ
سقيفةً،
تطلعُ في عروقي
رَصاصَةٌ. . .

. . . (ـ لا تخشَ، في شفاعتـي أنـتَ، فمالَ
نحوي، رَكبْتُهُ وطارَ بي. . .
ـ هذا الذي يصيح عن يميني يَنْصحُ لي، لم التفت
إليهِ. . .
ـ لو أنّك التفتَّ واستمعتَ، لاستلانْ
شعبُك، من بعدك، لِلشّيطانْ.
ـ وهذه المرأة كالفيروز عن شمالي
تنصح لي، لم ألتفت إليها. . .

ـ لو أنّك التفت واستمعتَ، لاستهانْ
شغبك بالجنّة والقيامه
واختار أن يموت فوق سُرّةٍ
ورفض الجهاد والكرامة . . .)
وكلّما هجستُ
ولذتُ بالهواءِ وانغرستُ
كالعشب في مدينة التّراب
أستكشف الفضاءَ والجناحْ
اسكن في باكورة الرّياحْ،
تنبتُ في ثيابي
رصاصةٌ . . .
رصاصةٌ . . .
وكلّما سألتُ
وانكسر السّؤالُ في سريرتي، وملتُ
كالغُصْن، أو نويتُ أن أطوفْ
في طبقاتِ الشّمس والهواءْ
مُستَسْلِماً كالماءْ،
تطلعُ في النّيّةِ والحروفْ
رصاصةٌ . . .

رصاصةٌ . . .
والشَّجَر الأخضر في الطَّريقْ
مدائنٌ حُبلى وحاضِناتْ
والشَّجرُ الميّت في الطريقْ
نارٌ بلا ضحيّةْ
تظلُّ من رمادِها بقيّةْ
في موقدِ الكَلامْ
تحمل للطفل الذي ينامْ
حُلْماً ،
وللطِّفل الذي يُفيقْ
دفتر أحزانٍ وأغنياتْ . . .
. . . (ها هو بيتُ المقدس - المعراجْ
يُمَدُّ لي ، يجيئني جبريلْ
بأكْؤسٍ ثلاثٍ . . .
- خذ أيّها تشاءْ
أخذتُ ، كان لبناً ، شربتُ
- إنّ هذا
خمرٌ ، وذاك ماءْ ،
فلو أخذت الخمرْ

لَغويتُ بعدك، مثل وثَنٍ،
أمّتك الحنيفَهْ
ولو اخذت الماءْ
لغرقت. . .
وَلقَّني جبريلُ وابتدأنا
نصعد في أدراجْ
من ذهبٍ وفضةٍ،
من لؤلؤ أحمر كالقطيفَهْ. . .)

كان الرّغيفُ يصيحُ كالمِلك:
ـ اهتدينا
نارُ أنا
وضريبتي جسَدُ المدينه
ماسٌ، دمقسٌ، أرجوانْ
ما كان من ذهبٍ وياقوتٍ، وكانْ. . .
ماذا أرى؟
ـ هذي جموع الخارجين إليكَ يا تاجَ المدينه:
عن أحمدٍ:
وَرِثت قطتيَ الأمينه.
وارتحتُ من قانونِهم. . .

عن صالحٍ
تاجرتُ بين المقعدينَ
فرشت أيامي وساده . . .
عن أخته :
نَفَقٌ هوايَ
وفي دمي ذئبٌ يدورْ
وأنا الضحية والبخورْ.
عن أختها :
وطني يشبُّ،
يشيخُ
يطعمني رمادَهْ.
عن زوجها :
وجهي ينام كطَوْطَمٍ . . .
عن حامدٍ:

لم يبدأ التّاريخُ
أفتح ساعديَ
للشّمس . . .

وانشقَّ الرّغيف كأنّه أفقُ النبيّ
وأنا العِرافَهْ
ودخلتُ في لهب المسافَهْ

أتزوّج النّارَ البعيدةَ فيَّ ، أقتلع الزّمنْ
كالعشب ،
أغتسلُ ـ اغتسلتُ ، غرقت في ألق الدّموعْ
وحنوت فوق دمٍ يئنّ ، دمٍ يجوعْ .
(. . . ـ ماذا ترى؟
ـ ملاكاً :
نصفين من ثلجٍ ومن شرارٍ
بألف ألف لغةٍ
تسبّح الجامعَ بين الثّلج والشرارِ . . .
ـ هذا مَلَكٌ يساوي
بين جميع النّاس ، وهو أنصح الملائكة . .
وهذه سماءٌ غبراء من حديدٍ . . .
ـ هذي اسمها الماعونْ
يسكنُها ملائِكٌ
أكتافهم حِرابٌ لنصرةِ الإسلام . . .
هنّأوني :
الخير في شعبك ، أنت الأصل والعلامه
من أول الزّمان حتى موعد القيامه .
قدّمني جبريلٌ
صلّيت ركعتينْ

بهم، على مِلّةِ إبراهيمْ . . .)
وهبطتُ في أغوارِ نجمتيَ الصّغيرهْ
بينَ المَشيمَةِ والكفَنْ
في شمس جُمْجمةٍ ضريرهْ
فقرأتُ تاريخ الفضاءِ، قرأتُ تاريخَ القَمرْ
من قبل أن أردَ الفضاءَ وقبلَ أن أطأَ القمَرْ ـ
ألأرض بيتي
والزّمنْ
لغتي وصوتي . . .
وسمعت عرّاف الرصيف يقولُ: مفتاحُ المدينهْ
تحْتَ ومغزَلُ غازلٍ . . .
عرّافُ، قُلْ لِيَ، فَسّرِ الرؤيا، نسيتَ؟ أُعيدُها ـ
. . . ودخلتُ دائرةَ الرّغيفِ، رأيتُ قطعة فِضّةٍ،
سوداء، تحمل خنجراً. تَدْنُو وتطعنني، وتهربُ في الزّقاق،
ومتُّ، لكن قمتُ فَجْأَهْ
ووجدْتُني في حضن مَرْأَهْ . . .
(. . . ثم رأيتُ مَلكاً لم يَبتسمْ . . .
ـ من هو يا جبريلُ؟
ـ عزرائيلُ، اقْتربْ وسَلِّمْ . . .
سلَّمتُ هبَّ واقفاً هَنّأني،

سألتُ: كيفَ تقبض الأرواحَ؟ قالَ: سَهلٌ.
حين يتمّ أجَلُ الإنسانْ
أُرسل أربعين من ملائكي
ينتزعون روحَهُ من العروقِ . . .
حينما تصيرُ في حلقومِه
أسلّها كشعرة تُسَلُّ من عجينٍ
فإنْ تكن طيّبةً
قبضتها بحربةٍ من نورْ
وإن تكن خبيثةً
قبضتها بحربةٍ من سَخَطٍ. . .
وبَدتِ الدنيا
في يده،
كدرهمٍ . . .)
عرّافُ، قُلْ . . .
ـ لا شيء،
هذا مخبَزُ اللّغةِ العَجينهْ
لا شيءَ،
تاريخُ النّساءِ مخدّةٌ
وحنانُ طينَهْ.

ـ ودهنُها المعدنيّ؟

عرّاف قل كل شيء . . .

ـ والدّهن كالوسام أوْ إشارهْ

علامَةُ السيّد: كلّ شيء

نهدان في يديهِ أو ستاره

لِلزّمن اليابسِ كالعُرجونْ

للزمن المخزونْ

في امْرأةٍ . . .

والدّهن معدنيّ

مملّكٌ،

ينزلُ مثلَ البحر في كتابِ

يستوطنُ الأغوارَ أو يستوطنُ الصّواري

يَصيرُ فوقَ أرضكَ البغيّ

شعائراً للذّبح، أو فخاخاً، أو خَرَزاً ملوّناً . . .

والدّهن معدنيّ

طيفٌ جنائزيٌّ

يدخل كالمنشارْ

في جسد العالمِ

كالملاءَهْ

يَطرحُها المأفونُ والعيَّارْ
على جفون أرضكَ المُضاءَهْ
(. . . وهذه سماءُ خضراءُ من ياقوتةٍ خضراءَ فيها
رجلٌ طويل
تلفّهُ مِدْرعةٌ
وشعرهُ يكاد أن يغطّي
سَاقَيْهِ . . .
- يا جبريلْ
مَنْ هُوَ؟
- هذا صِنْوكَ المفضّلُ الكليمْ
موسى بنُ عُمرانَ - اقْتربْ وسَلّم .
سلّمتُ ، قال موسى : يزعمُ إسرائيلْ
اني أنا المفضّل الكريمْ .
ثم دعا لأمتي بالخيرِ، ثم اصْطَفَّتِ الملائكهْ
أمَمْتهم ، صلّيْتُ ركعتينْ
بهم ، على مِلّةِ إبراهيمْ . . .)

والدّهنُ معدنيّ
بحَرٍّ من السّوادْ -
ألقاعُ نافورَهْ

مِن ذهبٍ، والسّطح قاذورهْ
والأرضُ كالمرايا،
مكسورةٌ، والشّمسُ هَسْهَساتْ
تنأى، وآبارٌ من الرّمادْ. . .
هل قلتُ كل شيء؟

(. . . رأيتُ باباً كتبت عليهِ
كتابةً قرأتُها
فَانْفتحَ البابُ، رأيتُ خلفهُ
جهنّماً،
رأيت غاباتٍ من الحيّاتْ
رأيتُ باكياتْ
يغرقْنَ في القِطْرانِ عالقاتْ
يغلين كالقُدور موثَقاتٍ
يُطرحن للأفاعي. . .
ـ هذا جزاء نسوةٍ
يظهرن للغريب. . . هذي امرأة
صورتُها كصورة الخنزير، جسمُها حمارٌ
لأنها لم تغتسل من حيضِها. . .
ـ هذا عقابُ امْرأةٍ تعشقُ غير زوجها.

ـ هذا جزاء امرأةٍ
لا تُحْسِنُ العشرةَ أو لا تحسنُ الوضوءَ، لا
تصليّ. . .)

رسمتُ ظلَّ القمرِ الطّالعِ في طريقي
بلهفتي،
ربطتُ كل جرحٍ
في وجهه بثوبيَ العتيق.
. . . وسرتُ في بُحيرة الأغاني
نَيلُوفَراً، أغاني
تَرْشَحُ من قرارةِ التّاريخ، من سريرةِ المكانِ
والتفّت الأشجارُ حول وجهي
والتفّتِ الطَّريقْ
كان النّهارُ حجراً يسيرُ، كلُّ حجَرٍ إشاره
وكان كلّ حجَرٍ فلاّحْ
يغسل وجْهَ الحقْل أو يُطاردُ الرّياحْ.
يُسافِرُ التّرابُ في خُطاهُ
ينام يستفيقْ
وكانَ كلُّ حجَرٍ شرارَهْ.
(. . . وها أرى رجالاً

تمشي على ظهورهم
حجارةً . . .)
وسرتُ محمولاً على شرَارَهْ
أحلم كي أسقطَ في الظَّلامْ
شَمْساً
وكي تدورْ
حولِيَ
أرضُ الحلُم الخفيّهْ
أحلم كي أكتبَ عن صداقة العُصفورْ
عن وطَنٍ أحَنَّ من قِنديلْ
ينسجُ كلّ لحظةٍ
من دمه ، مِنديلْ
أغنيّةً للحب، أو تحيّهْ . . .

(. . . طوّفْتُ في زبرجدٍ
أخضرَ، في مدارجِ الياقوت ، ثم جَاءني الملائكهْ
برفْرَفٍ
فسارَ بي كسهمٍ .
وحَطَّ بي في بَحْرٍ من نورْ
ابيضَ خلفَ بَحْرٍ من نورْ

أصفرَ خلفَ بَحْرٍ من نورْ
أسوَد، فاستوحَشْتُ واستَغَثْتُ. . .)

ورأيتُ أنّيَ في الأزقّةِ والزّوايا
أمشي كزين العابدينْ ـ
عبّاتُ بالخبز الجرابْ
وركضتُ من بابٍ لبابْ
أزْكي لهيبَ الثائرينَ، أسدَّ جوع الجائعينْ. . .

(. . . وانْطلقَ الرّفرفُ، صار يعلو
وحطّني في حضرة الإلَهِ ـ ما رأيتهُ
لم ترهُ عينٌ، وما سمعتهُ
لم تستَمِعْهُ أذنٌ . . .
نوديتُ: لا تَخَفْ.
خطوت خطوةً كأنّني خطوتُ ألفَ عام
أحسستُ حول كتفي
يداً، ولم تكن محسوسةً،
فأورَثتْ قلبيَ كلّ علمٍ . . .)
ـ مولايَ زين العابدينْ. . .
ـ أنا لستُ مولى،

لستُ كهفاً للأنينْ
أنا جمر ثورتكَ . . . انْفجِرْ
غَيِّرْ نداءكَ ، وانْفجِرْ . . .

. . . ورأيتُ أنّي صيحةٌ تَرِثُ الضّحايا
ورأيتُ أنّ الجوع يرفعني تحيّةْ
لدم الضّحايا
للبائسين الطّالعين من الأزقّةِ والزّوايا
موجاً يُضيء العالَمين . . .
- مولايَ زين العابدينْ
لغتي تنوءُ كأنَّ فوق حروفها حجَراً وطينْ
فبأيِّ جائحةٍ أطوفُ ، بأيّ موجٍ أستعينْ؟
(. . . - وانطفأ المصباحْ
في آخر الشّارع ،
واستدارتْ
غمامةٌ ، وذابتْ
في أوّل الشّارع واشرأبّتْ
حمامَةٌ ، وماتت
في لفتة الشّارع -
- من هناك؟

وارتجفنا

كالخيطِ

ـ من هناك؟

وانكسرنا

كالغصن

ـ من هناك؟

وانجحرنا

في حائطٍ

دخلنا

في حفرةٍ

وغبنا . . .

ـ هل قلت؟

ـ لا

ـ خذوه . . .

ـ هل كنت؟

ـ لا

ـ تبِعْنا خطاهُ . . .

ـ قَيِّدوهُ . . .

ونامت المدينه

وغُلّقتْ أبوابُها

ونمنا

من أين؟ لا مفتاحْ

يفتحُ أيَّ بابٍ

فيها،

ولا مصباحْ

يُضيئُها،

وليس في مداها مُهاجرٌ شَهيدٌ

يرفع في ساحاتها جبينَهْ . . .

وهذه بلادي

مع رجلٍ آخر من سُرداقِ الغزالي

تنام - ليس وجهي

حرفاً، ولا ذراعي

تَكيّةً،

وهذه بلادي

فخذان من صلاةٍ

مسافةٌ من شَررٍ وتيهِ

أبحث في رمادها

عن دميَ الآخر، عن شبيهي . . .

(. . . وكان سيفُ النقمة المجبولُ بالدِّماءْ
معلّقاً بالعرش، قلت: سيّدي
إرْفعه عن بلادي . . .
فقالَ: تمَّ الحكم والقضاءْ
وسوفَ يفني شعبكَ الحنيفُ مثل زَبَدٍ بالطّعنِ
والطّاعونْ
لكنّكَ المفضّل الحبيبُ - آدمَ
خَلقتُه من طِينْ
وكان إبراهيمُ لي خليلاً
وأنتَ لي حبيبٌ
وموسى،
كلّمتهُ وبيننا حجابٌ
وأنتَ تلقاني بلا حجابٍ
وإن أكن خَلقتُ من كلامي
عيسى، فقد شَقَقْتُ من أسمائي
إسْماً لَكَ، اقترنتَ بي،
أعطيتُك الكوثَرْ
والحوضَ والشّفاعةَ الكُبرى . . .)

أسمعُ صوت صخرة قديمةٍ

تضربُ وجه الشّرقْ
يرتسم الخالق في شقوقها والخلقْ
أسمع صوتَ الزّمن : البغايا
والقبرُ والمعاد
وحائطٌ يضحك أو يصلّي
لليل شهرزاد. . .
. . . . ـ والنّيلُ والفراتْ
عينان مملوءتانْ
بالشّمس والأشرعه
وبرَدى يبكي
تيبس في صوتِه
الأشجارُ والأغنياتْ
والغُوطة المرضعهْ
رمى على وجهه
ملاءةً. . .
ينامُ أو يقرأُ في بستانْ. . .

(. . . ـ دُهشتَ؟ هذي قبّةٌ،
سريرٌ من عَنْبرٍ، عليهِ
حورية

تُضيء من خنصرها الحقولُ والفصولُ
هذي لمن يموت شاهداً
بأنك الرّسولُ. . .)

سمعتُ صوت الزمن ـ الجريمَهْ:
رائحةُ النّسرينْ
أغنيّة الشمس على الأسوارْ
فراشةً تهرب من تشرينْ
إلى غدٍ يحرثُه نوّارْ
في أرضهِ الكريمة.
من أين هذا الزّمنُ المشقّقُ المدهونْ
بالنّسَم البارىءِ،
بالطّاعونْ؟
من أين؟ كيف تصبح الرّبابَهْ
قرنين، أو ذبابه؟
سمعتُ صوت الزّمن: السّقوطْ
لو لم يك البستانْ
جاريةً، لَكانْ
جرادةً. . .

أعيدي

صوتكِ، واستعيدي

سماءَهُ ـ ملاكُ

يَأتي، وهذا سلّم الهبوطْ. . .

سمعتُ صوتَ الزمن. . . السّقوطْ

نحويَ في الولاده

والنّهرَ الممدودَ كالوساده

من شَفَتيْ سقراطَ حتّى جثّة الحسينْ.

(. . . ولم نزل ننزلُ. . . ها وصلْنا

وَدّعني جبريلُ، قال: حَدّثْ

بما رأيتَ واختفى البراقُ. . .)

حَدّثتُ،

تَمَّ الحكمُ والفراقُ

حدّثتُ، كانت هامَةُ الغزالي

جالسةً كالسّيف، صِرتُ حجَراً مبرّاً كطفلٍ

يُطاردُ الغزالي.

وبعد أن يرسمَ حول وجهه

إشارةَ الوضوء والطّهارهْ

وبعدَ أن يكرّر الصّلاةَ حتّى تُصبحَ العباره
تكيّةً ومسجداً،
وبعد أن يُغالي
في مدحهِ ـ يُجلُّه كالله ذي الجلالِ،
يَرجُّ كلَّ ذرّةٍ
في كوكب الغزالي. . .
بالرّفضِ بالسؤالِ
بالغَرَقِ الحاضن كلَّ رأسٍ
بشاطىءِ الغيبة والرّجعة، بالإمامه
تأتي، وكلّ نجمةٍ عِمامَهْ،
بالرّعد، بالأيام سابحاتٍ في مُخْمَلِ الأبَدْ
كأنّها الأعراس أو كأنّها الجراحُ في مدينةِ الجسَدْ
بالصّخر والبُقولْ
بوَطنٍ يعيشُ فوق الأرضِ، لكن خارجَ الفصوَلْ،
بالرّفض بالسّؤالِ
بالمسجد المهدوم، بالحجّاج وهو يصلبُ المدينه
بعابدٍ تجترّه التّكيهْ
بالخوف، بالتقيّه
بقبّةٍ تجثم كالوطواطِ أو تهتزّ كالسفينه

حاملةً بقايا
من ورَق الجنَةِ أو من نَقمة الإلَهِ، بانْخسافِ
يغسل لونَ الأرضِ ، بالبنفسج المقلوعْ
من أوّلِ الزّمان، بالينبوعْ
مُرتطماً بالوقت مُستضيئاً
كأنّه الحصادُ أو كأنه المصباحُ، ـ
بالقبول والسؤالِ
بكلِّ هذا العالم اليابس كالنباتِ
الأخضرِ كالنباتِ
رَجَجْتُ كلَّ ذرَةٍ
في كوكب الغزالي،
رفضتُ وانفصلتُ
لأنّني أريد وصلاً آخراً، قَبُولاً
آخرَ مثلَ الماء والهواءْ
يَبتكر الإنسانَ والسماءْ
يُغيِّر اللُّحْمةَ والسَّداةَ والتّلوينْ
كأنّه يدخلُ من جديدٍ
في سفَر النشأةِ والتكوينْ .

لِكوكب الغزالي
لهذه المقابر المبثوثةِ الأشباح والطّقوسْ
في نَفَق الهواء والتّاريخِ ، في الأقدام والرؤوسْ،
لهذه الجدرانْ
للكتب المدهونة الأوراق والرفوفْ
بالبَطْن والشّهوة والأسنانْ
لهذه الأنصابِ والأعلام والسّيوفِ
لهذه المساجد الكنائسِ الدانية القطوف
لهذه الدّروبْ
مرصوفةً باللّيل ،
لِلتّكايا
علاّمةِ الأسرار والغيوبْ
لكلّ هذا الزّمن المكدّس المشحونْ
بالرّملِ والسُّعارِ والطاعونْ
أعرفُ ما تقول لي
يا كوكباً يسكنُ وجه الشّرقْ
أعرفُ ما تودّ أن تقولَهُ
لِلشّرق ،
هذا السّيدِ المصلوب

هذا الشّاعِرِ المجنونْ،
وها أنا أغنّي
آتي كما تقول لي
يا كوكباً يسكن وجه الشّرقْ
من يَبَسِ الغابات من دُجنّةِ الآبار والزّوايا
من جوفِ عنكبوتْ
من قَمَرٍ يسْوَدُّ من حضارةٍ تَموتْ
آتي كما تقولُ لي
يا كوكباً يسكنُ وجهَ الشّرقْ
في الشّمس في حناجرِ الأطفالِ في النّوارسِ المليئَهْ
بالبَحْرِ، بالشواطىء المضيئه
أفتحُ كلّ بابِ
أشقّ كلّ رمسٍ
بغَضْبة الخالق ـ بالرّجاءِ أو باليأسْ
بثورةِ النبيّ
مسكونةً بالشّمسْ
مسكونةً بالفَرحِ الكَونيّ.

تعويذات لمدائن الغزالي



١ ـ جسد الحصاة

هذا الذي سمّيتهُ التّاريخَ والبدايهْ
أملسُ مسدودٌ بلا حياةِ
كجسد الحصاةِ،
هذا الذي يمنحنا الرّعايهْ
سريرُ عنكبوتٍ
والماء في العاصي وفي الفراتِ
حِبْرٌ، وصحراءُ الخُطى كلامٌ
أو ورَقٌ، لا فرق، والقلاعُ
جاريةٌ مربوطةٌ، وليلٌ
أجردُ: لا حلمٌ، ولا شُعاعُ.
لا، لَسْتِ أقحوانْ
أو باقةً من زَهَر الأخوّهْ
ولستِ ايحاءً ولا نبوّهْ
أو نجمةً تسهرُ عند الجسرْ

تقرأ ماءَ النّهر . . .

وليس فيك سائلٌ
وليس فيك قارىءٌ
فأنتِ مرزبانْ
يَصنعُ من جنازةِ الضحيّةْ
خبزاً ، ولستِ ناهدَ الصبيّةْ
حينَ يكون الحبّ مهرجانْ .

. . . ـ جلدةٌ أنتِ ، لستِ أكثر من جلدةِ معْزى وإن تناسلتِ واستأجرْتِ زوجاً وجئتِ للنّاس في ثوبٍ دمقْسٍ ، وسحنةٍ آدميّةْ .

وأنا الدّهرُ والطّريقُ ،
أخضُّ البحرَ ـ موتي سفينةٌ ، وبقايايَ
انفجارٌ يَجيءُ ، أو أبَجَديّةْ . . .

٢ . لو سكنت

. . . لو سكَنْتِ، كما قلتُ، صوتي
لكنت اهْتديتِ
للطّريقِ ومعراجِها واكتسيتِ
حلّةَ السّالكينْ
يشربونَ الشّموسَ وأبعادَها
ولكنتِ ارتويتِ
لو سكنتِ، كما قلتُ، صوتيَ
كنتِ العرافَهْ
ومناراتها القُزَحيَّهْ
بين أيامنا الورقيّه
وثلوجِ المسافَهْ،

ولكنتِ اهتديْتِ . . .

٣ ـ القاعدة

ـ كي تستوي، كي تكونْ
خُذْ يدَها مِن هنا
خُذْ وجهَها، وابتكِرْ
شرارةً واستبِحْ
زُنَّارَها، والكتِفَ الجامِدَهْ
واشْدُدْ إلى اليَسارْ
مِحْوَرَها الحَزُونْ
وحرِّكِ الزّاويةَ القاعِدهْ
وغيِّر الأساسَ والحِجارْ
وَغيِّرِ القاعِدهْ..

الممثل المستور



١ ـ قمر الغوطة

يَدبُّ في عروقي
صَحْوٌ، وفي رمادي،
أقومُ والعالَمُ حول وجهي بيتٌ، وكلّ
زَهْرةٍ قصيدةْ.
يَرْتجف التّاريخُ كالطّريدَهْ
يَنتعِشُ التّاريخُ

ـ أيّ نارْ
أطفأتَ، أيّ نارٍ
أشعلتَ يا مهيارْ؟

هبطتُ في منارةٍ
حللتُ في قيثارْ
وكانت الأوتارُ مثلَ جرحٍ ينزُّ، والحياةُ
سَجّادةً في القصر، والتّاريخ مثلَ خرقةٍ يجرُفُها الفُراتُ

وكلّ ما للأرضِ والسّماء من طيورِ
فاكهةٌ تنضجُ - واختلَطْنا
وجهيَ وجهُ الشّارعِ ، الفرسانُ والحُصونْ
والزّمنُ الملفوفُ حولَ النّاس كالوشيعَهْ
والجامعُ الواقفُ كي تُسافِرَ الطّبيعَهْ
أو يرجعَ الأذانْ.
وقائلٌ يقولُ:
قرأتُ أفلاطونْ
عرفتُ ما يكونْ
سيّدةُ القُصور قهرمانَهْ
والقَمرُ الطّالع قهرمانْ
يسكنُ في حانوتْ
يولَدُ، حول فخذِها، يَموتْ. . .

وابْتدأ الطّوفانْ
واختلَطَ المصبُّ - قاسيُونْ
نَهْرْ
وتحتَ بردى طريقٌ
لراهبٍ كان اسمهُ بحيرَهْ

وَلِلكلام شَجَرٌ، وللخُطى حنينٌ
واللهُ في البيوتْ
يموجُ كالبحيرهْ.

وابتدأَ التاريخُ، وابتدأنا ـ
. . . ـ يا أيها الممثِّل المستورُ يا صوفيَّنا الكبير
ها نحنُ ذاهبونْ
ويعلمُ اللهُ متى نجيءْ
نعرفُ أنَّ الليلَ سوف يبقى
نعرفُ أنَّ الشمسَ سوف تبقى
لكننا نجهلُ ما يكونْ
من أمر قاسيونْ ـ
هذا النبيِّ الأصفرِ المضيءْ
وما يكونُ المشهدُ الأخيرْ
يا قمر الغوطةِ، يا صوفيَّنا الكبيرْ.
أصرخُ من دهليزْ
في قلعةِ الرَّماد ـ صرتُ جرحاً
في جَسدِ القلعة، صرتُ غيماً
يعانِقُ الشّرفةَ، والإفريزْ،
أصرَخ من دهليزْ:

أحتقرُ الأرضَ التي تكونْ
لؤلؤةً في جوفِ بلّوره
أحلمُ بالحدود بالبلدانْ
مفتوحةً كالبحرِ، منذورَهْ

لونُ الحاجزِ العُبودَهْ
والبَرصُ الشّمسيّ، والسّكْتَةُ، والبرودَه
في جسدِ الإنسانْ.

٢ - الغائب قبل الوقت

أسألتني؟ مُتْ أولاً، أو فاشتعِلْ كالجُرحِ

واهبطْ في رمادي

واسألْ. . . أتسألُ عن بلادي؟

جسدي بلادي.

من أنتَ؟ هل واكبتَ هرْولةَ الكواكبِ

وانْحدرتَ مع السّيولِ

طلعتَ في شفتَيْ جدارٍ

زهْرةً؟

ألبستَ أجنحةَ الفراشةِ، غِبْتَ في أحشاء صخْرهْ

وبسطتَ راحتَكَ، افترشْتَ الشّمسَ،

صِرْتَ هسيسَ غابَهْ

أسمعتَ أجراسَ الجبالِ ترنُّ في عُنُقِ السّحابَهْ؟

مَن أنتَ؟ آ، ها. . . ذاتَ مرّهْ

كنّا، مشينا ذات مرّه:

أنتَ عبدُ الطَّريقْ
خِرْقةٌ في الطَّريقْ.
أنتَ جبَّانَةٌ وعاده . . .
وأنا الفتْح والزِّياده . . .

وتحت أهدابي مَدى أحصنَةْ
تَشْبَحُ، والأشباحُ والأمكنَةْ
قوافِلٌ للخبز والبقولْ
والزَّهَرُ الطَّالِعُ والأنهارُ والسُّهُولْ
أحصنةٌ تشبحُ، والصَّهيلْ
جرحٌ، وللجبالِ وَسْوَساتُ . . .

نسجتُ من معارجي
أجنحةً للصَّبرِ
واحتضنتُ الينبوعَ والجُمانةَ البيضاءَ والمرايا:
يا شَجر الأيام أيَّ شمسٍ
لبستَ في مداري
يا شجَر الدُّوارِ، ـ
وقلتُ ـ هذي نارُنا، وهذا
سُرادِقُ الأخوّةْ

والزّمنُ الأعجفُ قرنُ ثَوْرٍ يَموتُ
والنبوّهْ، -
يا فُقراءَ العالم النبوّهْ
فقرٌ،
وكلُّ فقرٍ
أوّلهُ الفضاءُ -

. . . - «رافقيهِ
يا نجمَةَ السُّؤالِ، علّميهِ الإعصارَ والهُبوطَ
في الأعالي. . .»

وليس لي إلاّ دمي ووجهي
وليس لي حنينٌ
إلاّ لِنار الحلُم. . .

« - انجحرَت؟
من أنتَ؟
آ، ها. . . ذاتَ مرّهْ. . .
مُتْ أولاً. . .»

وُلِدتُ في عباءةِ النّبيْ
وجهيَ نارُ زوجةٍ

تحلمُ: «كيف تسقطُ السُّيوفُ
كيفَ يرجعُ الجنديَ. . .»
وجهيَ مثلُ كوكبٍ
يحضُن كلّ جامدٍ وميّتٍ وحَيّ.
أحلمُ باسْمِ العُشبْ
حين يصيرُ الخبزُ كالجحيمْ
حين يصيرُ الورقُ الميّتُ في كتابهِ القديمْ
مدينةً لِلرُّعبْ

أحلمُ باسْمِ الطينْ
كي أَمحوَ الرّكامْ
كي أغمرَ الزّمانَ أستعينْ
بِالنَّسَمِ الأوَّلِ، أستعيدْ
مزماريَ الأوَّلَ
كي أغيّر الكلامْ.

والحلمُ اللّونُ وقوسُ اللّونْ
بعدَ رمادِ الكونْ
يُوقظُ هذا الزّمنَ النّائِمَ في بُحيرة الجَليد
أخرسَ كالمسمارْ

يُفرغه كجُرْنٍ
يُسلمه للنَّارْ
لِلزَّمنِ الطّالع من خميرة الأجيالْ
في قدَم الأطفالْ ـ
ألزّارعينَ بذْرةَ البَكارهْ
ألحاملين الضّوءَ والشَّرارهْ.

غَسلْتُ راحتيَّ من حياتي ـ
من هذه الفراشَةْ
صالَحتُ بين الدَّهْر والهشاشَةْ
كي أهجر الأيامَ، كي أستقبل الأيّامْ
أعجنها كالخبزْ
أغسلها من صدأ التَّاريخ والكلامْ
أذوب في نسيجها حرارةً أو رمزْ،
ففي دمي دهرٌ من السَّبايا
دَهْرٌ من الخطايا
يجرفُه موتي، وحولَ وجهي
حَضارةٌ تموتْ.
وها أنا كالنّهرْ

أجهلُ كيف أمسك الضّفافْ
أجهلُ غيرَ النّبع والمصبّ والمطافْ
حيثُ تجيءُ الشّمسْ
كالعُشْبةِ السّاحرة السّوداءْ
حيثُ تشبّ الشّمسْ
كالفرسِ الحمراءْ
حيثُ تصيرُ الشّمْسْ
عَرّافةَ الشّقاءِ والسّعادَهْ
عَرّافةً، أو أسداً، أو نسرْ
ينامُ كالقلاده
فوقَ جبين الدّهرْ.

مرايا للممثّل المستور



١ ـ مرآة للنوم

ألبَطَلُ السَّاهِرُ مثلَ موجةٍ
يَنامْ
وارضنا صبيَّةٌ
كانت بلا رأسٍ ولا وسادةٍ تَنامْ
والفكرة الفرَّاسَةُ الحمراءُ
كانَتْ جثّةً تنامْ
يا رمَدَ الأعضاء يا مسالِكَ الرّطوبَهْ
في جسدي ـ في جسد العروبه
من أين، كيف أوقِظُ النِّيامْ؟

٢ - مرآة للسؤال

سألتُ، قِيلَ: الغُصُنُ المغطّى بالنّار، عصفورٌ.
وقيلَ: وجهي
مَوجٌ، ووجهُ العالم المَرايا
وحسرةُ البحّار، والمنارَهْ
وجئتُ، والعالَمُ في طريقي
حِبْرٌ، وكلُّ خَلْجةٍ عباره
ولم أكن أعرف أنَّ بيني وبينه جسراً من الأخوّهْ
من خُطوات النّار والنبوّهْ
ولم أكن أعرف أن وجهي
سَفينةٌ تبحرُ في شَراره.

٣ ـ مرآة لفارس الرفض

ـ ١ ـ

حُلمٌ بثلاثةِ أقمارٍ
يتحطَّم ، والجدرانُ رسومٌ
تقطر حبراً ،
والأشجارُ . . .

ـ ٢ ـ

كلُّ ينابيع القرى عبّأت
جرارها ،
وانكسرت فوقهُ .

ـ ٣ ـ

كان وراء صخرةٍ
مُدَّثراً بالرَّفضْ

مظَّللاً بشمس قاسيونْ
يَغوصُ، محمولاً على سحابَهْ،
إلى حنايا الأرضْ
فارسُ هذا الزَّمنِ المعجونْ
بالشّمس والكآبهْ.

٤ ـ مرآة للقرن العشرين

تابوتٌ يلبس وجه الطِّفلِ
كتابْ
يُكتَبُ في أَحشاء غُرابْ
وَحشٌ يتقدَّمُ، يحملُ زهرَةْ
صَخرةْ
تَتنفَّس في رِئتيْ مجنونْ:
هُوذَا
هُوذا القرنُ العشرون:

٥ ـ مرآة الغيوم

أجنحةٌ،
لكنَّها من شمعْ،
والمَطرُ الهاطِلُ ليس مطراً
بل سُفُنٌ لِلدَّمعْ.

٦ ـ مرآة لمعاوية

شَعرةٌ تقرأ الرّياح وتبني
ملكَها في تفجّر البركانِ
في زفير الأمواجِ
والزّمنِ الهائِم بين الإعصار والرّبانِ.

٧ ـ مرآة لخالدة

١ ـ الموجة

خالِدهْ
شَجَنٌ تُورقُ الغصونْ
حولَه،
خالِده
سَفَرٌ يُغرقُ النَّهارْ
في مياهِ العيونْ
موجةٌ علَّمتْني
أنّ ضوءَ النّجومْ
أنَّ وجهَ الغيومْ
وأنينَ الغُبارْ
زهرةٌ واحده. . .

٢ ـ تحت الماء

تمنا في ثوبٍ منسوجْ

من عُنَّاب اللَّيل ـ اللَّيلُ هَباءٌ، والأحشاءْ
تهليلُ دمٍ، إيقاعُ صنوجْ
وبريقُ شموسٍ تحت الماءْ.
واللَّيلةُ حبلى. . .

٣ ـ الضياع
مَرَّةً، ضعتُ في يديكِ، وكانَتْ
شفتي قلعةً تحنُّ إلى فتحٍ غريبٍ
وتعشَقُ التَّطويقا.
وتقدَّمت،
كانَ خصركِ سلطاناً،
وكانت يداك فاتحةَ الجيش،
وعيناكِ مخبأً وصديقاً
والتحَمْنا، ضعنا معاً، ودخلْنا
غابة النَّار ـ أرسم الخُطْوةَ الأولى إليها
وتفتحينَ الطَّريقا. . .

٤ ـ تعب
ألتعبُ القديمُ حول البيتْ
صارت له جرارٌ
وشرْفةٌ

يَنام في أكواخها، يغيبُ، كم قلقنا
عليه في أسفارِه، ركضنا
نَطوفُ حول البيتْ
نسأل كلّ عشبةٍ، نُصلّي
نَلمحه، نصيح: كيفَ، ماذا، وأينَ؟ كلٌّ ريحٍ
أتتْ
وكلّ غصن
أتى
وما أتيتْ...

٥ ـ الموت
بَعد هذي الثواني يجيءُ الزّمانُ الصَغيرْ
وتجيءُ الخطى والدروب المعادَهْ
بَعدَها تهرم البيوتُ
بعدها يُطفىءُ السريرْ
نار أيّامِه ويموتُ
وتموتُ الوسادهْ.

٨ ـ مرآة لوضاح اليمن

(أصحوتَ عن أم البنين . . . ؟)
وضّاح اليمن

وَضّاحُ، هل صحوتَ، هل رأيتَ
حيث انتهى الماضي وما انتهيتَ
عباءتي، ورأسيَ المسروقْ؟
فحصتُ كلّ ديرٍ
نقّبتُ كلّ بيتٍ
فتّشتُ كلّ دنّ
سألتُ قهرمانةً للجنّ . . .
فأمسِ ، والمفتاحْ
يفتح بابَ بيتها
أنزلت في صندوقْ
مثلكَ يا وضّاحْ
وأنزلَ الصّندوقْ

في البئرِ . . .
كانَ صوتٌ

يقولُ: «كلّ أرضٍ
بئرٌ؟
وكلّ حبٍّ
يعيشُ ـ كلّ حبّ يموتُ ـ
في صندوقْ».

سمعتني؟ صحوتَ؟
كبوت من جديدٍ
ونمتَ؟ كيف نمتَ؟
. . . والنّهر لا ينامْ
وقاسّيون حارسٌ كالدّهر لا ينامْ
والنَّخلَةُ الهدباء لا تنامْ
والعشب لا ينامْ
والخبزُ ليس نوماً
والحبّ ليس نوماً . . .

٩ ـ مرآة لبيروت (١٩٦٧)

ـ ١ ـ

أَلشَّارعُ امرأةْ
تقرأ، حين تحزنُ، الفاتحهْ
أو ترسُمُ الصّليبْ
واللَّيلُ، تحتَ نهدها،
محجّبٌ غريبْ
عبّاً في كيسهِ
كِلاَبه الفضيّة النّائحهْ
والأنجمَ المطفأهْ

والشّارع امرأةْ
تَعضُّ كلّ عابرٍ
والجَملُ النّائمُ حول صدرها
يغنّي

للنّفط (كلّ عابرٍ يغنّي)
والشارع امرأةْ
تسقط في فراشها
الأيامُ والجرذانْ
ويسقط الإنسانْ.

- ٢ -

ألوردُ مرسومٌ على الأحذيهْ
والأرض والسّماءْ
صندوقُ ألوانٍ -
وفي الأقبيه
يَرتسم التّاريخ كالتّابوتْ
وفي أنين نجمةٍ او أمةٍ تموتْ
يضطجع الرّجالُ والأطفال والنساءْ
بلا سراويلَ
ولا أغطيه...

- ٣ -

جبّانَةٌ،

وصُرّةٌ في الحزامْ

من ذهبٍ،

وامرأةٌ خشخاشَةٌ تنامْ

في حضنها أميرٌ أو خنجرٌ

ينامْ.

١٠ ـ مرآة الزّاجة السوداء

ـ هل قلتَ: وجهيَ مركبٌ، جسدي جزيرَهْ
والماء أعضاءٌ تحنُّ؟
ـ وقلتِ: صدركَ موجةٌ
ليلٌ يهرولُ تحت نهدي . . .
والشّمسُ محبسيَ القديمُ الشّمسُ محبَسي الجديدُ
والموتُ أغنيةٌ وعِيدُ؟
أسمعتني؟ أنا غير هذا اللّيل، غيرُ سريره اللّزَج المُضاءِ

جسدي غطائي ـ
نَسْجٌ حبكتُ خيوطَهُ
بدمي وتهتُ، وكان في جسدي متاهي
أعطيتُ لِلورق الرّياحَ، تركتُ أهدابي ورائي
حاجَيْتُ، من غضبٍ، إلهي
وسكَنْتُ إنجيلَ الرّضاعَةْ،
كي أكشفَ الحجر المسافر في ردائي . . .

أعرفتني؟ جسدي غطائي
والموتُ أغنيتي وقصرُ دفاتري
والحِبْرُ لي قبرٌ وقاعَه
كُرةٌ تقاسَمَها اليَبابُ وشيَّخَتْ فيها السماءُ
زلاَّجةٌ سوداءُ يسحبُها التفجُّعُ والبكاءُ.
أتبعتِني؟ جسدي سمائي

أَشْرَعْتُ أزْرِقةَ المدى
ورسمت أهدابي ورائي
طُرقاً إلى وثنٍ عتيق
أتبعتِني؟
جسدي طريقي.

١١ ـ مرآة لجسد عاشق

ألجَسَدُ العاشقُ، كلَّ يومٍ،
يذوبُ في الهواءِ ـ صار عِطْراً
يدورُ، يَسْتحْضِرُ كلَّ عِطْرٍ
يأتي إلى سريرِه
يُغطِّي
أحلامَه، ينْحلُّ كالبخورْ
يعود كالبخورْ.
أَشعارُه الأولى عذابُ طِفْلٍ
يضيعُ في دوّامةِ الجُسوْر
يجهلُ أن يظلَّ في مياهها، ويَجهلُ العُبورْ.

١١ ـ مرآة لجثة الخريف

هل رأيتَ امرأةْ
حَمَلت جثَّةَ الخريفْ؟
مزجت وجهَها بالرَّصيفْ
نَسَجَتْ من خيوطِ المطَرْ
ثوبَها
والبَشرْ
في رماد الرَّصيفْ
جمرةٌ مُطفأةْ.

١٣ ـ مرآة لأبي العلاء

أذكر أنّي زرتُ في المعرّه
عينيكَ، أصغيتُ إلى خُطاكْ
أذكرُ أنَّ القبر كان يمشي مقلِّداً خُطاكْ
وكان حول القبرْ
صوتُكَ، مثلَ رَجّةٍ، ينامْ
في جسد الأيام أو في جسدِ الكلامْ
على سرير الشِّعرْ

ولم يكن هناك والذاكْ
ولم تَكُ المعرَّةْ. . .

١٤ ـ مرآة للعين والزمن

غنّيتُ، قلتُ لأيامي : رفعتُ دمي
مدائناً تَلِدُ الإيقاعَ قلتُ لها
مددْتهُ غُصُناً يشتاقُ، يحملني
في نُسْغِهِ، ويضيء الموتَ والكفنا
غنّيتُ، قلتُ لأيامي : أبَحْتُ دمي

(وربّ جوهر علمٍ لو أبحتُ به
قيل لي : أنت ممن يعبد الوثَنا)

غنّيتُ، قلت . . . فصلْتُ الحُلْمَ عن هُدُبٍ
يخيطُه، ومزجتُ العينَ والزّمنا .

١٥ ـ مرآة لأورفيوس

قيثارُكَ الحزينُ، أورفيوسْ
يعجَز أن يغيِّر الخميرَةْ
يجهلُ أن يصنعَ للحبيبة الأسيرهْ
في قفَص الموتى سريرَ حبًّ يحنُّ أو زنْدين أو ضفيرهْ
يموتُ من يموتُ، أورفيوسْ

والزّمن الرّاكِضُ في عينيكْ
يكبو، وفي يديكْ
ينكسرُ القِيثارْ.

ألمحك الآن على الضّفافْ
رأساً، وكل زهرةٍ غِناءً
والماءُ مثل صوتٍ،
أسمعك الآن أراكَ ظلاًّ
يفرُّ من مدارِه،
ويبدأ الطّوافْ...

١٦ ـ مرآة الطواف

بعد نار الطوافِ،

بعد رحيقِ الجرح والحلم في سرير القطافِ

سطعَتْ شهوةُ العلوّ، تَسلّقتُ حنيني ونارَهُ، ورحلْنا

عن بلادٍ نزّازةٍ طحلبيّه

في بساطِ الخليقةِ الشفّافِ

وأنا اليوم نكهةٌ كوكبيّهْ

أتمرْأى، وأصهرُ الدّهْرَ مرآة انخطافٍ لوجهيَ العرّاف

للنّهارِ المَسْنونِ كالقلب، للفَتْح

لِسحْرِ الأبعَادِ والأطرافِ.

مرآة الطريق وتاريخ الغصون

- ١ -

لا خليجٌ المرايا ولا وردةُ الرياحْ:
كلّ شيءٍ جناحْ
طالعٌ في دمي، في الحقولْ
سابحٌ في مدار الفصولْ
حيث آخيتُ وجهي مع العشب واستسلمتْ خُطايا
لحنين المرايا
ورأيتُ العناصرَ تبكي وتفتحُ جرح الأخوّهْ
بيننا، وعرفت الإشارهْ
أنّني أول البشاره
أنني نبتةٌ من الشرق في روضة النبوّهْ.

لا خليجُ المرايا ولا وردةُ الرّياحْ
كلّ شيءٍ طريقْ

ألحدودُ وراياتُها والحريقْ
والسّدودُ، اللّقاء ومعراجهُ
الصَّوتُ، صوتيَ في راحتيّ،
العصافيرُ تنأى وتترك أسماءَها في الغصونِ
الغصونُ وتاريخُها ـ

ـ فتحنا
وطَناً آخراً وسرنا
في وداع العصافير، كنّا
لتباريحها فضاءً،
رحلنا
مثلها . . .
كلّ شيءٍ طريقٌ،

حضنّا مراراتِنا، صعدنا
في بكوريّةِ الأعالي
لابسين الرّموزَ، اصطبغنا، صبغنا غلالاتِها بالأعالي
والحَمامُ الذي يتناسلُ في وجهِنا طَريقٌ
والسّرابُ ومزمارُه طريقٌ
كلّ شيءٍ طريقْ
والوجوهُ التي تتَناسخُ في غُبْرِةِ الطَّريق

والوداعُ المرابطُ في وحشة الطُّريقْ ـ

ـ يا زمانَ المطرْ
أعْطِنا، وابتكْر للشَّجر
غيمةً ـ حلّةً من هوانا
واسْقِ من حَنٍّ، من سقانَا
يا زمانَ المطرْ. . .

بغتةً، صار بيني وبين الطَّبيعةْ
لغةٌ ورسائلُ، صارَ الهواءْ
دَرَجاً، صرتُ أمشي
بين عينيّ والفضاءْ
سائِحاً في ثيابِ الطَّبيعَةْ:

ـ إنْ تكن يا بريدَ المسافةْ
فارساً، فحنيني
فَرَسٌ، إن تكن صحارَى
فيداي القوافِلُ، إن كنتَ نارا
فأنا عاشِقٌ غريبٌ تيمَّمتُها، والعِرافَةْ
كوكبي، يا بريدَ المسافَةْ. . .

ـ ٢ ـ

رافقَتْني الرّياحُ وأحجارُها النبويّةْ:

حجَرٌ سَيِّدُ المدينَهْ
حجَرٌ خادِمُ المدينَهْ
حَجَرٌ واسِعٌ يتدحرجُ في خاتَم الخليفَهْ
حَجرٌ نجمَةٌ خفيفه
علّقته الصَّبايا
بين أحلامهنّ الأليفَهْ
وعيون المرايا.

ـ أستودع الحجَرْ
ما يترك النّهارُ من حطامهِ
في سفري، ما يتركُ السَّفَرْ
فللحجَرْ
خيطٌ من الرّاحة، في نسيجه
عيناي والغاباتُ؟ والمطرْ
وللحجَرْ
مدينةٌ تولَد كلّ ليلَةٍ
أبحثُ في شقوقِها، أركض ـ كلّ ساحرٍ
يضيعُ في مدينةِ الحجَرْ

لكنّني أستودعُ الحجَرْ
ما يتركُ النّهارُ من حُطامِه

في سفري، ما يتركُ السَّفَرْ . . .
رافقَتْني الرِّياحُ وأحجارُها النَّبويهْ
والذين يسيرون في النارِ، يستَنْبِتون
شَجَرَ الحلْمِ ، يفتحونْ
في رمادِ العصافيرِ بوّابةً . . .

ـ . . . وسرنا
خطواتٍ من القمح، سرنا . . .
يرونَ الطريق أغاني
وخطاهم ينابيعُها . . .

ـ التقينا
بين عنْق الطريق وأردافِها . . .
الطّالعونْ
من قِلاعِ الهجومِ
يمدّون سلطانهم في تخوم الغرابَةِ في أوَّل النّباتِ . . .
ـ انحنينا . . .
للطريق وأعشاشِها
رأينا
سحرَ أبعادِها
سمعنا
صوتَها . .

العاصفونْ

ألذين يجيئونَ كالوقت. . .

ـ عينُ الغرابَةْ

مطرٌ أو سحابَةْ

تحت أهدابِنا

عجبنا

كيف لم يفْتح الجُنونْ

لخطانا شبابيكَه، عجبنا. . .

والذين يرجّون ماءَ العصورِ. . .

ـ انتشلْنا

وطَناً عائماً. . .

يسمّون ما لا يُسمّى

يكسرونَ الحدودَ واقفالَها، يُنْشِئونْ

طُرقاً في الطّريقِ، يَسيرون قدّامها. . .

. . . . ـ استمعنا

لصدانا يسافر في العشب،

يقبل من آخر البحر. . .

يهوون في لجّة الحلْم

. . . ـ كنّا

ذَهبَ اللّيلِ والصّحارَى

فوق غرناطةٍ، في بخاري . . .

والذين يسيرونَ بين التحوّل والنّارِ

ـ سِرْنا،

كلهم رافقوني . . .

. . . جيئُ تقصُّ الشمس، بعدَ النّومْ

عليّ كلّ يومْ:

. . . ـ ونادرُ الأسوَدْ

يقرأ باسم اللهِ والشّقاءْ

أسطورة الخبزِ وشعرَ الماءْ

ونادِرُ الأسودْ

تحمله الأشجارْ

وكلّ غصن قبضةٌ وسيفْ

ينضجِ قبل الصَّيفْ

ينضجُ بعد الصَّيفْ

ونادر الأسود

هاجَر كي يرجعَ في تشرينْ

في أول الأمطارْ . . .

. . . حيث رأى مهيارْ
كيفَ تجيءُ الشَّمسُ كلَّ يومْ
إليَّ، بعدَ النَّومْ
حيثُ يصير الماءْ
من لهفةٍ، نافورةَ الحريقْ
أجرأَ من مدينَهْ.

- ٣ -

تَفْتَحُ الأرضُ بيتَها
تبدأ الأرضُ خطاها معي،
- معي غَضَبُ الأرضِ، هواها، سطوحُها الوحشيّهْ
والدّمُ السيّد، الدّمُ الآمِرُ، الطالِعُ من بُؤرةِ
الزّمان القصيّه

تفتح الأرض بيتها،
- سرّة الأرض سريرٌ
كلّ التواريخ عقدٌ يتدلّى حولي. . .
وتاريخُنا يَنْضَحُ:
. . . فينا الجمر، الضحايا
وفينا

شهوةُ الملح، شهوة الكوكب الجامح فينا،
وصحوةُ الجنس في اللّيل، وقربانهُ
وتسبيحةُ المرأة انهارَتْ على صدرِ فاتحٍ يُغلق التّاريخَ،
فينا الدّمُ الغيورُ الغرابيُّ الغَريب المقدّسُ المسفوكُ
والرّقيقُ: المليكُ والمملوكُ

... - كلّ شيءٍ كما كان والثّائرونْ
أصدقاءُ الرياح
يجرحون النّهار يسيرون بين الجراحْ...

غير أني أسير، أسمّي، أردّ إلى كلماتي
سِحْرَ تكوينها، أسمّي
بالجذور وإيقاعها، أسمّي
شَجَرَ الخَلْجَةِ النبيّة في أولِ الفُصولْ
حيث لا يعرفُ الدّخانُ
أنَّ بين الحقولْ
وينابيعيَ الخفيَّهْ
سقطَتْ جثّةُ المكانْ.

... وأسمّي، وطفَّحت أنهاريَ البشريّه
غضباً ينسجُ الخيوطْ

بين صوتي وأمواجه، والشّطوطْ
قوسُ نارٍ ـ حضنتُ الحريقْ
وقشرتُ المكانَ، جعلتُ المكانْ
زَهراً يقرأ الطّريقْ
والخطى ترْجمان.

ورأيتُ أغانيَ تمشي وتنسجُ أقدامُها الشّباكْ
لطيور الكآبَهْ
ورأيتُ أغانيَ تلهو، تعدّ الترابْ
حبَّةً حبَّةً، والعذابْ
نائِمٌ في السَّوادِ على ضفَّةِ الغرابَهْ.
كانت الريحُ عينين مسنونتينْ
تخرقان الظّلامَ وعاداتِه، تجرحانْ
جسَدَ اللّيلِ، تشربانْ
دمَه الأسودَ، المصفّى
حينما تصعد المقابرُ أو يسقطُ المَلاكْ
كانت الريح جنّيةً والأغاني
وجهها واليدينْ...

...ـ ونادر الأسودْ

كانَ الصّدى، وكان
يجلس بين القمَر الجائعِ والبستانْ
يكتشفُ الظلّ، يغطّي جوعه وكانْ
كالدّهر،
فلاّحاً من الفراتْ
يخيطُ جرحَ الماءْ
يمشي وتمشي خلفه السّماءْ.

حيث تجيء الشمس بعد النّومْ
إليَّ، كلَّ يومْ
حيث يصير الماءْ
من لهفةٍ نافورةَ الحريقْ
حيثُ يكون الزّهَرُ الضائع في الطّريقْ
أجْرأ من مدينَهْ.

- ٤ -

- من أين أتيتْ؟
- من أرض الموتى، من أجران الدّمع أتيتْ
لم أسكن بيت...

وحينما نزلتُ في مقبره

والشّمسُ تلتفُّ على كاحلي

كالعشبة المسكره

حملتُ للجوعِ قرابينَه

كان دمي أضحيةً هاجرت

إلى غدٍ آخرٍ

كانت يدي مجمره . . .

ولم أجد في أول المقبره

ولم أجد في آخر المقبره

غيرَ الأطفالْ

كانوا وعد الأرض الحبلى

كانوا المدّ العاليَ والأمواجَ الحُبلى والشلاّلْ . . .

ـ من أين أتيتْ؟

ـ كنت أغامر في الغاباتْ

أركض خلف الجّنياتْ

أحلم أنّ الجنّياتْ

خبزٌ . . .

. . . ومرّ عصفورٌ بلا هويّة

من فَلواتِ الطيّرْ

والتَمّت الأرضُ كمزهريَهْ
للّيل، للبقيّهْ
من زَهرِ الصّبيرْ.

ـ من أينَ أتيت؟
ـ كنتُ حطّاباً عبدتُ الشّجرَهْ
وغرزتُ الفأس في أهدابها. . .
ـ كيف أتيتْ؟
ـ جئتُ في قافلةِ الرّعب وراياتِ الجنونْ
في بقايا فأسيَ المنكسرَهْ
مُرهقاً يحمل تاريخَ الغصونْ. . .

ـ ٥ ـ

مهيارْ
يهبطُ في محيطِ قاسيونْ
في بَردى، في فجوةِ السَّقيفَهْ
في الغُوطةِ المفكوكة الأزرارْ
في اللّيلِ ـ محمولاً على قطيفَه:

ـ شقائقُ النّعمانْ
والحجر الماسيّ والقنّب والرّمان

حشدٌ من الفرسانِ في إيوان قاسيونْ .

حيث تصيرُ النّارْ
بحيرةً ، ويُولَدُ العصفورْ
في ورَقِ اللّوتسِ ، حيثُ الماءْ
سفينةٌ تقلُّ للأبناء من مقابرِ الآباءْ
مجامرَ البخورْ :

. . . ـ تحتَ وجه الفسيفساءِ تربَّعنا . . .
وغلغلتُ في ضبابِ الأريكَهْ
في دُوارٍ ، في حضنِ غيبوبةٍ خَضْراءَ
في طعم جنَّةٍ
وسمعتُ البحرَ يبكي أمواجَه المنهوكَهْ . . .

ساطعٌ
لهبيَّ التّحوّلِ هذا الزّقاقُ ـ الحجارُ مرايا :

حجَرٌ سيّدُ المدينَهْ
حجَرٌ فارسُ المدينَهْ

قاطِعٌ يتقدَّم يجتاحُ يدخلُ في مقتلِ المدينه . . .
عجلاتُ النّهار ارتختْ ، والمدينَهْ
أسلمتْ وجهَها المدينَهْ

حيثُ تقصُّ الشَّمس بعدَ النَّومْ
عليَّ، كلَّ يومْ:

. . . ـ ونادرُ الأسودْ
كالدَّهرِ، فلاّحٌ من الفراتْ
يخيطُ جرح الماءْ
يمشي وتمشي خلفَه السَّماءْ. . .

مهيارْ
جسرٌ إلى الهُبوطِ حتَّى السِّحر والشَّقاءْ
في الجسدِ الأرضيِّ أو في جسدِ السَّماءْ ـ

. . . ـ جسدي هنا، جسدي هنالكَ ساحِرٌ
صوتٌ يئنُّ بلا صدَى
يرتاد يفتتحُ المدَى
هو والمدى. . .

فصلته جارحةُ البرُوقِ عن الدَّمِ اللَّزجِ الهزيلْ
جسدي قِبابُ الأرزِ، والنَّهرُ المسافرُ، والنَّخيلْ. . .

كلّ شيءٍ كما كان، والثائرون
أصدقاءُ الرِّياحْ
فقراء الزوايا وأطفالُها والنساء البقايا

يجرحون النّهارَ يسيرون بين الجراحْ
كلّ شيءٍ كما كان : كفّاي مثقوبتانْ
والصّدى يشربُ النّزيفْ
كلّ شيءٍ كما كانَ : عيناي معصوبتانْ
والطّريقُ الرَّغيفْ ،

. . . ـ سقطَتْ حربةٌ ، فلملمتُ أيامي
وأسلمتُها إلى كلماتي
في جذورِ التَّفتحاتِ
ودفءِ الموتِ ، في موتيَ الصَّديقِ المُؤاتي
في الغدِ النَّافرِ المُهاجرِ ،
في البرْقِ الصَّديقِ ، البرقِ البعيدِ الآتي
لستُ إلاَّ إيقاعها : لستُ إلا
نَسَماً طائفاً
يفتِّت روح الماء بين الأنقاضِ والأشتاتِ . . .

مهيارْ
وجهكَ برجُ اللّيلِ في سفينةِ البخورْ
والحلُم في أجنحةِ اليمامِ واليَمَامُ في التنّورْ
والكناريُّ الذي غنّى وغنّى :

ـ لم يعد حولي مكانٌ غير ظلّي

لم يعد حولي طريقَ غير ظلي . . .

والذي غنّى وغنّى :

ـ كان لي أرضٌ منحتُ الأرضَ ، كانْ
شجرٌ ماتَ ،

الكناريُّ الذي غنّى وغنّى :

ـ أنتَ يا وجهَ المكانْ
نصفك الأول ماتْ
نصفكَ الآخر لم يُولَدْ . . .

وغنّى :

ـ كان لي ظِلٌّ منحتُ الظلَّ . كانْ
شَجَرٌ ماتَ . . .

الكناريُّ الذي غَنّى وصلّى للحياةْ
طار من شوقٍ إلى الموتِ وماتْ . . .

مِهيارْ
وجهكَ برجُ الضَّوءِ في سفينةِ الظَّلامْ
والحلمُ في أجنحةِ اليمامِ واليمامْ

جسدٌ هنا جسدٌ هنالِكَ ساحِرٌ
يرتادُ يفتتحُ المدَى

هو والمدى. . .

حيثُ تقصّ الشّمسُ، بعدَ النّومْ
عليَّ، كلَّ يومْ:
. . . ـ وسمعت أساطيرَهم، وخبزنا، أكلنا
وقفنا أمامَ المرايا
ورأيتُ الوجوهَ الطَّريدَهْ
وتجاعيدها، ورأيتُ الجنونْ
وهو يسْتنفر العصورَ يسوقُ العصورْ
نحوها. ورأيتُ الرّماحْ
تنحني فوقنا كالغصون، رأيتُ الغصونْ

في تقاطيعنا. . .
رأيت المراكبَ في فجوةِ الخليجْ
تحملُ النّار والرّياحْ
وغسلتُ المرايا وحرَّرت إعصارها، مَزجْتُ المرايا
والطَّريقَ وتاريخها، وجعلتُ المزيجْ
كيمياءَ العُصورِ الجديدَه. . .

وَيجيءُ الصّباحْ
من تخومٍ خفيّهْ
لابساً حُمْرَةَ القطيفه

لهيباً وديعاً يطهِّر، يزرع جَذْرَ الرِّياحْ
في بلادِ الخليفه
وأقاليمِها الورقيَّةْ . . .

حيث رأى مهيارْ
ونادرُ الأسودْ
كيف تجيء الشمسُ بعدَ النَّومْ
إليَّ كلَّ يومْ
حيثُ يصيرُ الماءْ
من لهفةٍ نافورةَ الحريقْ
حيثُ يكونُ الورَقُ الضائعُ في الطَّريقْ
أجْرأ من مدينَهْ.

- ٦ -

سقطَتْ مناديلُ الفَضاء بشارةً تلدُ البشارَهْ:
لم يبقَ إلاَّ عابرٌ شربتْ ملامِحَه الجسورْ
هو مرَّةً، نَجمٌ يشفُّ، ومرَّةً، نَجمٌ يَغُورْ ـ
لم يبقَ من تيهِ الطَّريق سوى الطَّريق سوى الشَّرارَهْ
والماءُ نجَّارٌ يدورْ
يُعْطي، يُشيرُ، يمدُّ راحتَه، ويُؤْذِنُ بالعُبورْ.

وجه البحر





١ ـ كيمياء النرجس

أَلمرايا تُصالح بين الظهيرةِ واللَّيل ،
خلفَ المرايا
جَسَدٌ يفتح الطَّريقْ
لأقاليمهِ الجديدهْ
في ركامِ العصورْ
ماحياً نجمةَ الطَّريقْ
بين إيقاعه والقصيدهْ
عابراً آخر الجُسورْ

. . . وقتلتُ المرايا
ومَزْجتُ سراويلَها النّرجسيهْ
بالشّموسِ ، ابتكرتُ المرايا
هاجِساً يحضُن الشّموسَ وأبعادها الكوكبيَّهْ .

٢ ـ صنين

صِنِّين
يقرأ في غُرفته العارية
لِلّيل، للأشجار، للسّاهرينْ
أحزانَهُ العاليه.

٣ ـ ياسمينة

مُحمَّدٌ سافَرَ في رغيفٍ
ولم يَعُدْ.
وسارَةٌ تهبطُ في مغارهْ
تَسألُ عن صديقها الشُقوقَ والحجارَهْ
تذوبُ في مِنديلْ
واحَمدٌ يغنِّي
أُغنيَّةَ المهاجر، الضَّائِع في بلادٍ
تأكُلُ حتَّى جثَّةَ القتيلْ
وصالحٌ يدورُ في سحابَهْ
تُوصِلهُ رياحُها الأمينَهْ
إلى ذُرى حديقةٍ
لا جثّةٌ فيها ولا ذبابَهْ ـ
وكنتُ أستيقظُ في قصيدتي
في شعبيَ الطِّفلِ،
كياسمينَهْ.

٤ ـ القشرة والأيام

قشـرةٌ. غابـت المدينـةُ، رمـلٌ حول رأسـي. يداي، خاصرتي. . . رمحان، والأرضُ فوهةٌ.
ـ قَشرتْكَ الشمسُ، واجْتاحَ وجهكَ الإعصارُ
وخبا البرق: هذه جثّة العالم، هذا ضريحُها السيَّارُ
ويدي قبضةٌ من الأرض لا تحمل غير الأكمام والأحلامِ
غسلتها عيناي، لا وَرقُ التاريخِ فيها ولا دروبُ الكلامِ
هي بيتي، وجسري الأخضَرُ الطّالِعُ بين الأيامِ والأيامِ.

٥ ـ القصيدة

أسمعُ صوتَ الزّمن : القصيدَهْ
يَدٌ هنا هنالك ، القصيدهْ
عينان تسألانْ ـ
هل أغلق النّسرين بابَ كوخهِ
هل فتح الإنسانْ
بوّابَةً جديدهْ؟

يَدٌ هنا هناك ، والمسافَهْ
تَنوسُ بين الطّفل والضّحيَّه
لكي تجيء النّجمة الخفيّه
وترجعَ الدّنيا إلى الشّفافَهْ .

٦ ـ الأحجار

ـ ١ ـ

سقطتْ حجَره
فتَفتَّح شيءٌ في الجدرانْ
صار البُعد أحنَّ وأشهى . . .
سَقَطتْ حجره
فتغيَّر شيءٌ في الإنسانْ .

ـ ٢ ـ

مِن زمانٍ عشقتُ الحجَرْ
وانجبلنا معاً وافترقْنا ،
من زمان رأيتُ الحجر
سُرَّةً ، والمرايا
موعداً ، والتقينا
وانجرَحْنا ، ونمنا وقمنا

وافترقنا، وعدنا

وأنا اليوم أنأى وأنفذ ممّا تقول المرايا

فأنا أوّل الشّظايا، أنا آخر الشّظايا . . .

ـ ٣ ـ

حَجَرٌ يحمي نهد الحبلى

حَجَرٌ يَسكَرْ

يترنّح في أهداب الشاعرْ

ويصير يمامَةْ

ترقد في أهداب الشّاعر

حجَرٌ يسهَرْ

ويصير ستائر

تتدلّى حول جبين الشّاعر

ويصير غمامه . . .

ـ ٤ ـ

دُلّيهِ يا غمامه

يجهل أن يسيرَ يا غمامه

في لَولَبِ الظلامْ

وحينما يخرجُ صوب النورْ
والجهة الخفيَّه
في وطن الكلامْ
أبْرأ من براءة العصفورْ
ترميه بندقيَّةْ .

دلّيه يا غمامه
خُذيه واغسليهِ
من ليل قاتليهِ
بِالله يا غمامه .

٧ ـ الرغيف

عادَ الرّغيفُ إلى خميرتهِ
يُهاجِرُ في قصيده
مثلي،
سَرِيْنا حافِيْين،
ـ أكلتَ؟
ـ لا.
ـ ودّعتَ؟
ـ لا.
ـ عاندتَ صوتكَ، وَهْو يفتح جرحَه الملكيَّ، يصرخُ؟
ـ لا.
سَرِيْنا
في قاع أغنيةٍ، رأينا
سُفُنَ الحروفِ الجارياتِ ـ نقلتُ عن وجهي حُرُوفي
ولبستُ قبَّعةَ الخريفِ

كي أفهمَ القبر المسافرَ. . .
وانحنيْنا
وتنهّد الحَورُ الحزينُ يقولُ، أسمعه يقولُ
أنا والرَّغيفُ علامتانِ وكلّ أغنيةٍ رسولُ
والماءُ جَمْجمةٌ بعيدهْ.
أنا والرغيفُ دَمٌ ـ سَرَيْنا
بكتِ الشوارعُ وانحنَتْ
رُكَبُ المآذنِ،
وَانحنيْنا. . .

٨ ـ الشهيد

حين رأيتُ اللَّيلَ في جفونهِ الملتهبه
ولم أجد في وجههِ نخيلاً
ولم أجدْ نجوماً،
عَصفتُ حولَ رأسهِ
كالرِّيحِ ـ وانكسرْتُ مثلَ قَصَبَةْ.

٩ ـ وجه البحر

أسمعُ في مهيارْ
قصيدةً
تَعرِفُ أن تجرحَ ليلَ القَبْر
بالشَّمس أن تَجيءْ
في قَدمِ الشَّمسِ ووجه البَحْرْ . .

١٠ ـ الموت

حين رأيتُ الموتَ في طريقي
رأيتُ أفكاري
رأيتُ وجهي
قاطرَةً تمتدُّ كالضبَّابِ
وكنتُ مستجيراً
بالبرقِ ، مرسوماً على التُّرابِ.

١١ ـ حوار

ـ لا تَقُلْ كان حبّي
خاتماً أو سِوارْ
إنَّ حبّي حصارْ
إنّه الجامحونْ
يُبحرون إلى موتهم، يَبحثونْ.
لا تقلْ كان حبّي
قمراً،
إنّه شَرارْ.

١٢ ـ الدم النافر

أحلمْ ـ
لَنْ يكونَ هذا الصَّوتْ
صوتيَ،
أنتَ الجثّةُ الطَّريحهْ
أنا الدَّم النَّافرُ من حضارةٍ ذبيحَهْ
يُشْعِلُ نارَ المَوتْ
يُطفىءُ نارَ الموتْ.

١٣ - الوردة

خُذْ وردةً مُدَّها وسادةً .

بعدَ حينْ

تَصهرك المهزلَهْ

في حَمإ ، في طِينْ

تضمّك القنبلهْ

لِملكها ،

بعدَ حينْ

خُذْ وردةً سَمِّها

أُغنيّةً ،

وَغَنِّ للعالمينْ .

١٤ ـ العصفور

أصغيتُ:
عصفورٌ على صنّينْ
يَضجُّ كي تسيطرَ السّكينهْ
كي يُصبح الغناءْ
كشفرةِ السكّينْ
يجرحُ بالبحّة والبُكاءْ
برودةَ المدينهْ.

١٥ - المئذنة

بكتِ المئذنةْ
حين جاء الغريبُ - اشترَاها
وبنى فوقها مدخنه.

١٦ ـ الحلم

غبْتَ، اختفَيْتَ؟ عرفَتُ أنّكَ سائِحٌ
شرَراً ولؤلؤةً وموجَ غوايةٍ
تمضي تعودُ مع الفصولْ
ورأيتُ نارك في الحقولْ
عيناك أجنحةٌ ووجهك طالعٌ
كالأفقِ، يكتنزُ الشموس، ويغسلُ الأرضَ الكئيبه
غبتَ، اختفيتَ؟ رأيتُ وجهكَ في الحقولْ
ماءً يسافر في الجذور إلى مدائنه الغريبَهْ
في العشب، في نَهرِ الفصولْ.

١٧ ـ الموج

مَوجٌ رفعتُ على أدراجهِ جزُري
ورحتُ أبدأ تاريخي ـ
أفتّهُ
ألمهُ
وأنقّيه، وفي لغتي
مسافَةُ الموت تُحْييني، وفي ورَقي
مسافَةُ الجرحِ،
موجٌ آمِرُ الصّوَرِ
موجٌ يؤاخي طريق الشّمس، يفتح في
صدري محطَّاتِه،
موجٌ يعلّمني
أنَّ الأقاصي مدارُ الحلمِ والسّفَرِ.

١٨ ـ المدينة

نمتُ مع المدينهْ

في أول الغصونِ في بدايةِ الجراحْ

كانت على سريري

أقلقَ من سفينةٍ

في اللُّججِ. واللّقاحْ

يخضُّها، يفتحُ كلَّ عِرْقٍ . . .

واستيقظَتْ، كانَ السَّريرُ نَهْراً

للحبِّ،

واللِّقاحْ

تاريخ عاشقينْ

وكان نهداها مَدينتينْ.

١٩ - نبوءة

للوطن المحفور في حياتِنا كالقَبرْ
للوطن المخدَّرِ المقتولْ
تَجيءُ من سُباتنا الألفيّ، من تاريخنا المشلولْ
شمسٌ بلا عبادة
تقتلُ شيخَ الرّملِ والجرادَهْ
والزّمنَ النابتَ في سهوبِهِ
اليابس في سهوبِهِ
كالفِطرْ
شَمسٌ تُحبُّ الفتكَ والإبادَهْ
تطلعُ من وراء هذا الجسرْ. .

٢٠ ـ الغرب والشرق

كان شيءٌ يمتدُّ في نفَق التَّاريخ
شيء مزيّنٌ ملغومُ
حاملاً طفله من النَّفْطَ مسموماً
يغنّيهِ تاجِرٌ مسْمومُ
كانَ شرْقٌ كالطِّفل يسأل،
يستصرخُ
والغربُ شيخه المعصومُ

بُدِّلت هذه الخريطةُ
فالكونُ حريقٌ
والشَّرقُ والغربُ قبرٌ
واحِدٌ
من رمادِه ملمومُ. . .

١١ - سنبلة

وقفت سنبله
بين وجه الشريد وأيامهِ، وقفت سنبله
وأشارت ـ
رأيتُ النّهارْ
جرَساً يفتح الشبّابيكَ والمدنَ المقفلهْ.

وَقفت سنبله
في مدار الينابيع في شَهْوة الغُبارْ
ورأيتُ العصافير تبني، وكان المطرْ
سُفناً تجرف الجليدْ
في طريق البراعم والعشب، كان الشَّجر
سفناً تحمل المدائن أو تأخذ القمَرْ
في مهبِّ الفضاء الجديدْ.

٢٢ ـ ساحر

قبلُ أو بعد،
يُولد الكونُ مربوطاً بقرنيْ غزالةٍ مسحورهْ
راسماً ظلَّه على الأشجارِ:
غُصُنٌ صورةٌ لهُ
غُصُنٌ يزهر بين المسمارِ والمسمارِ
غُصُنٌ عاشِقٌ حنانَ النَّارِ ـ
أنا تاريخ ذلك الغُصن السائح
في غابة الرّؤى والمجاعه
سار وجهي في قبّة الموت
واسترجعَ سحراً يُضيئهُ، وأضاعهْ
فدعوتُ الجَمْرَ الصديق وبخّرنا
مداه، وموجه، وشراعه
وحملتُ العشب الرّضيعَ كأهدابي
وسافرتُ في حنين الرّضاعه

في رياح غريبةٍ منذوره
لدمي جارحاً،
لِحبّيَ مربوطاً بقرنَيْ غزالةٍ مسحوره.

٢٣ - دمشق

أومات -

جئتُ إليكِ حنجرةً يتيمه

أقتاتُ، أنسج صوتَها الشَّفقيَّ من لُغةٍ رجيمه

تتبطّنُ الدنيا وتخلع باب حكمتها القديمَهْ .

وأتيتُ، لي نجمٌ ولي نارٌ كليمه :

يا نجمُ، رُدّ لي المجوسَ

وأنتِ يا نارُ استْبيحي

فالكونُ من ورقٍ وريحِ

ودمشقُ سرّة ياسمينْ

حُبلى،

تمدّ أريجَها

سقفاً

وتنتظرُ الجنينْ .

٢٤ ـ الأسماء

سأسمّي التّحولَ ربّانَ أيامكِ الجديدهْ
يا بلادَ الخليفةِ والتّابعينْ
وأسمّي
وجهكِ المغلقَ الدّفينْ
كوكباً، والقَصيدَهْ
هالةَ الفارسِ الغريبْ
حولَ أيامكِ الجديده.

٣٥ اللؤلؤة

كيف أمشي نحوَ شعبي، نحو نفسي
كيف أمضي نحو تَهيامي وصوتي، كيفَ أصعدْ؟
لستُ إلاَّ نَهَراً
حاضِناً لؤلؤَةَ الشّعرِ
وإلاَّ
حُلُماً ـ
أنّيَ ضوءٌ
سائحٌ في جَسَدِ الليلِ،
وأنّي
جامحٌ أحتضنُ الأرضَ كأنثى
وأنامُ
مُوقِظاً حُبّيَ فيها
لَهباً يَفْتح،
يَسْتنزِلُ فيها

آيةً،
أنّي كِتابٌ
ودمي حِبرٌ
وأعضائي كلامٌ.

كيف أمشي نحو نفسي، نحو شعبي
ودمي نارٌ وتاريخي ركامُ؟
أسْنِدوا صدريَ -
في صدري حريقٌ
ومسافاتٌ
وأجسادُ عصورٍ تتجرجَرْ
والتّواريخُ مرايا
والحضارات مرايا
تتكسَّر.
لا، دَعُوني:
إنّني أسمع أصواتاً تغنّي في رمادي
إنني ألمحها تمشي كأطفال بلادي.

فهرست القصائد

جنازة امرأة ٥

كلمات ١٦

لون الماء ٢٠

الزمان المكسور ٢٣

امرأة ورجل ٢٥

أغنية للرجل ٢٧

أغنية للمرأة ٢٨

المجوس ٢٩

وجه امرأة ٣٠

الطريق ٣١

مرآة لحظة ما ٣٢

مرآة للكرسي ٣٣

مرآة للوقت ٣٤

حزمة القصب ٣٦

أربع أغنيات لحزمة القصب ٤١

١ ـ الجائع ٤٣

٢ ـ النوم والنهوض من النوم ٤٤

٣ ـ الشعب ٤٥

٤ ـ الغضب ٤٦

تيمور ومهيار ٤٧

أربع أغنيات لتيمور ٥٣

١ ـ مرآة للشرع ٥٥

٢ ـ الغزو ٥٦

٣ ـ هم ٥٧

٤ ـ السيل ٥٨

مرايا وأحلام حول الزمان المكسور ٥٩

١ ـ الماضي ٦١

٢ ـ الحاضر ٦٢

٣ ـ مرآة طاغية ٦٣

٤ ـ الرصاصة ٦٤

٥ ـ مرآة السياف ٦٥

٦ ـ الشاعران ٦٦

٧ ـ دمشق ٦٧

٨ ـ مرآة لملك الحريم ٦٩
٩ ـ بيروت ٧٠
١٠ ـ مرآة لزيد بن علي ٧٢
١١ ـ مرآة رجل يروي ٧٥
١٢ ـ مرآة لزرياب ٧٦
١٣ ـ مرآة الفقير والسلطان ٧٧
١٤ ـ امرأة ورجل ٧٩
١٥ ـ مرآة الحجاج ٨١
١٦ ـ مرآة الرأس ٨٣
١٧ ـ مرآة الشاهد ٨٤
١٨ ـ مرآة لمسجد الحسين ٨٥
١٩ ـ مرآة الحلم ٨٦
٢٠ ـ مرآة التاريخ ٨٧
٢١ ـ مرآة للأرض ٩٢
الرأس والنهر ٩٣
السماء الثامنة ١١٩

تعويذات لمدائن الغزالي ١٤٩
١ ـ جسد الحصاة ١٥١
٢ ـ لو سكنت ١٥٣

٣ ـ القاعدة ١٥٤

الممثل المستور ١٥٥
١ ـ قمر الغوطة ١٥٧
٢ ـ الغائب قبل الوقت ١٦١

مرايا للممثل المستور ١٦٧
١ ـ مرآة للنوم ١٦٩
٢ ـ مرآة للسؤال ١٧٠
٣ ـ مرآة لفارس الرفض ١٧١
٤ ـ مرآة للقرن العشرين ١٧٣
٥ ـ مرآة للغيوم ١٧٤
٦ ـ مرآة لمعاوية ١٧٥
٧ ـ مرآة لخالدة ١٧٦
٨ ـ مرآة لوضاح اليمن ١٧٩
٩ ـ مرآة لبيروت ١٨١
١٠ ـ مرآة الزلاجة السوداء ١٨٤
١١ ـ مرآة لجسد عاشق ١٨٦
١٢ ـ مرآة لجثة الخريف ١٨٧
١٣ ـ مرآة لأبي العلاء ١٨٨
١٤ ـ مرآة للعين والزمن ١٨٩

١٥ ـ مرآة لاورفيوس ١٩٠
١٦ ـ مرآة الطواف ١٩١
١٧ ـ مرآة الطريق وتاريخ الغصون ١٩٢

وجه البحر ٢١١
١ ـ كيمياء النرجس ٢١٣
٢ ـ صنين ٢١٤
٣ ـ ياسمينة ٢١٥
٤ ـ القشرة والأيام ٢١٦
٥ ـ القصيدة ٢١٧
٦ ـ الأحجار ٢١٨
٧ ـ الرغيف ٢٢١
٨ ـ الشهيد ٢٢٣
٩ ـ وجه البحر ٢٢٤
١٠ ـ الموت ٢٢٥
١١ ـ حوار ٢٢٦
١٢ ـ الدم النافر ٢٢٧
١٣ ـ الوردة ٢٢٨
١٤ ـ العصفور ٢٢٩
١٥ ـ المئذنة ٢٣٠

١٦ ـ الحلم ٢٣١
١٧ ـ الموج ٢٣٢
١٨ ـ المدينة ٢٣٣
١٩ ـ نبوءة ٢٣٤
٢٠ ـ الغرب والشرق ٢٣٥
٢١ ـ سنبلة ٢٣٦
٢٢ ـ ساحر ٢٣٧
٢٣ ـ دمشق ٢٣٩
٢٤ ـ الأسماء ٢٤٠
٢٥ ـ اللؤلؤة ٢٤١



من منشورات دار الآداب

مجموعات الشاعر

- قصائد أولى. الطبعة الأولى ١٩٥٧.
- أوراق في الريح. الطبعة الأولى ١٩٥٨.
- أغاني مهيار الدمشقي. الطبعة الأولى ١٩٦١.
- كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل. الطبعة الأولى، ١٩٦٥.
- المسرح والمرايا. الطبعة الأولى. ١٩٦٨.
- هذا هو اسمي (وقت بين الرماد والورد). الطبعة الأولى ١٩٧١.
- مفرد بصيغة الجمع. الطبعة الأولى ١٩٧٥.
- المطابقات والأوائل. الطبعة الأولى ١٩٨٠.
- كتاب الحصار. الطبعة الأولى ١٩٨٥.
- احتفاء بالأشياء الغامضة الواضحة. الطبعة الأولى ١٩٨٨.

'16

دار الآداب
هاتف ٨١٢٧٧٨ ـ ٨٦١٦٣٣
ص. ب ٤١٢٣ ـ ١١ بيروت

تصميم الغلاف: ناصر عاصي
لوحة الغلاف للفنان حمودة عبد الرزاق


To: www.al-mostafa.com